

# البركة

## عناصر الموضوع

٧٢	مفهوم البركة
٧٣	البركة في الاستعمال القرآني
٧٤	الألفاظ ذات الصلة
٧٦	الأساليب القرآنية في استخدام البركة
٨٥	مجالات البركة
١٢١	وسائل تحصيل البركة وآثارها

## مفهوم البركة

## أولاً: المعنى اللغوي:

أصل البرك صدر البعير وإن استعمل في غيره، ويقال له: بركة، وبرك البعير: يبرك بروكاً ألقى بركه، واعتبر منه معنى اللزوم، فقليل: ابتركوا في الحرب، أي: ثبتوا ولازموا موضع الحرب، وبركاء الحرب وبروكاؤها للمكان الذي يلزمه الأبطال، وابتרכת الدابة: وقفت وقوفاً كالبروك، وسمي محبس الماء بركة<sup>(١)</sup>، والباء والراء والكاف أصلٌ واحدٌ من برك، ويعني: ثبات الشيء، والبركة تعني الزيادة والنماء، والتبريك: أن تدعو بالبركة، والتبرك: طلب البركة من الزيادة في الخير والأجر، والبركة: السعادة<sup>(٢)</sup>.  
ومن خلال ما سبق تبين أن البركة يتمركز معناها اللغوي حول الثبات، والزيادة والنماء، والسعادة.

## ثانياً: المعنى الاصطلاحي:

قال الراغب: «البركة: ثبوت الخير الإلهي في الشيء»<sup>(٣)</sup>.  
وعرف الكفوي البركة بقوله: «النماء والزيادة، حسية كانت أو معنوية، وثبوت الخير الإلهي في الشيء وداومه»<sup>(٤)</sup>.  
والمتدبر في المعنيين يجد اتصالاً بينهما؛ حيث إن المعنى الاصطلاحي يعني: ثبوت الخير الإلهي في الشيء، وهذا مرتبط بمعنى البركة في اللغة التي هي الثبوت والرسوخ والسعادة من جهة، والنماء والزيادة المرتبطة بقاعدة الاستقامة في الدين من جهة أخرى، والتي يترتب عليها سعادة في الدنيا، ووفرة ثواب في الآخرة.

(١) انظر: لطائف الإشارات، القشيري ٨٢/٢.

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ص ١١٩.

(٣) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢٣١/١.

(٤) المفردات، ص ١١٩.

## البركة في الاستعمال القرآني

وردت مادة (برك) في القرآن الكريم (٣٢) مرة<sup>(١)</sup>.  
والصيغ التي وردت هي:

المثال	عدد المرات	الصيغة
﴿وَجَعَلَ فِيهَا رُؤُوسًا مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا﴾ [فصلت: ١٠]	١٧	الفعل الماضي
﴿لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦]	٣	المصدر
﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]	١٢	اسم المفعول

وجاءت البركة في القرآن بمعناها في اللغة وهو: ثبوت الخير الإلهي في الشيء<sup>(٢)</sup>.

(١) الكليات، ص ٢٤٨.

(٢) انظر: المفردات، الراغب الأصفهاني، ص ٨٣.

## الألفاظ ذات الصلة

## ١ الثبات:

الثبات لغة:

ثبت الشيء يثبت ثباتاً وثبوتاً فهو ثابتٌ، والثبات ضد الزوال<sup>(١)</sup>.

الثبات اصطلاحاً:

التمكن في الموضوع الذي شأنه الاستئزال<sup>(٢)</sup>.

الصلة بين البركة والثبات:

الثبات من الألفاظ المقاربة لمعاني البركة، ولكن البركة أعم وأشمل من الثبات، ويستعمل الثبات في الأجسام والأعراض<sup>(٣)</sup>.

## ٢ الزيادة:

الزيادة لغة:

الزاء والياء والذال أصلٌ يدل على الفضل، يقولون: زاد الشيء يزيد، فهو زائد<sup>(٤)</sup>.

الزيادة اصطلاحاً:

أن ينضم إلى ما عليه الشيء في نفسه شيء آخر، يقال: زدته فازداد<sup>(٥)</sup>.

الصلة بين البركة والزيادة:

البركة: هي الزيادة والنماء، ويوصف بها كل شيء لزمه وثبت فيه خير إلهي، والزيادة من معاني البركة، فإذا كل بركة زيادة، وليس كل زيادة بركة<sup>(٦)</sup>.

(١) انظر: لسان العرب، ابن منظور، ٢ / ١٩، المفردات، الراغب، ص ١٧١.

(٢) التوقيف، المتناوي، ص ٩١.

(٣) انظر: الفروق اللغوية، العسكري، ص ١١٨.

(٤) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٢ / ٢٣٢.

(٥) المفردات، الراغب الأصفهاني، ص ٣٨٥.

(٦) انظر: معجم الفروق اللغوية، العسكري، ص ٩٧.

النماء لغة:

النون والميم والحرف المعتل أصل واحد، يدل على ارتفاع وزيادة<sup>(١)</sup>.

النماء اصطلاحًا:

لا يخرج عن المعنى اللغوي، فهو الزيادة سواء أكانت حقيقية أم تقديرية.

وقيل: «ازدياد حجم الجسم، بما ينضم إليه ويدخله في جميع الأقطار، بنسبة طبيعية»<sup>(٢)</sup>.

الصلة بين البركة والنماء:

نماء الشيء يفيد زيادة من نفسه، وقولك: زاد، لا يفيد ذلك، ألا ترى أنه يقال: زاد مال فلان بما ورثه عن والده، ولا يقال: نما ماله بما ورثه، والبركة تكون من الله وليس من غيره، فالبركة أعم وأشمل من النماء<sup>(٣)</sup>.

القحط لغة:

(قحط) القاف والحاء والطاء أصل صحيح يدل على احتباس الخير، و(أقحط) القوم أصابهم القحط، و(القحط) الجذب<sup>(٤)</sup>.

القحط اصطلاحًا:

«انقطاع المطر»<sup>(٥)</sup>.

الصلة بين البركة والقحط:

البركة تعني ثبوت الخير الإلهي في الشيء<sup>(٦)</sup>، أما القحط فهو من الألفاظ المقابلة الذي يعني قلة الخير والجذب، وقلة الأمطار والرياح في الزراعات، والرياح في التجارات، ووقوع الموت في الناس والدواب، وكثرة الحرق، والغرق، ومحق البركات من كل شيء<sup>(٧)</sup>.

(١) مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥ / ٤٧٩.

(٢) التعريفات، الجرجاني، ص ٢٤٦.

(٣) الفروق اللغوية، العسكري، ص ١٨٠.

(٤) انظر: مقاييس اللغة، ابن فارس، ٥ / ٦٠، مختار الصحاح، الرازي، ص ٢٤٧.

(٥) التوقيف، المناوي، ص ٢٦٨.

(٦) بصائر ذوي التمييز، الفيروز آبادي، ٢ / ٢٠٩.

(٧) انظر: مدارك التنزيل، النسفي، ٢ / ٧٠٣.

الأساليب القرآنية في استخدام البركة

تنوعت الأساليب القرآنية في الحديث عن البركة، وسوف نتناولها بالبيان فيما يأتي: أولاً: إسناد البركة إلى ذات الله تعالى وأسمائه:

من تأمل أساليب القرآن الكريم في تناول البركة لفظاً، وجد أنه سبحانه ذكرها مجموعة لا مفردة، وأنها جاءت مسندة إلى الله تعالى، أو إلى اسمه سبحانه مع شفع ذلك الوصف بأمر منها:

• أنه سبحانه رب العالمين.

قال عز من قائل: ﴿إِن رَّبِّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَيْثُ وَجَّهَ وَجْهَهُ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسْحَرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

• وأنه سبحانه منزل القرآن الكريم، ذلك الفرقان المعجز.

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

• وأنه سبحانه الذي أنعم علينا بالشمس والقمر؛ لأنه بيده ملكوت كل شيء.

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

وقال تعالى أيضاً: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

وقال أيضاً: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف: ٨٥].

• وقد صورنا فأحسن صورنا، بعد أن جمعنا في بطون أمهاتنا، وركب فينا السمع والبصر والأفئدة.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّفْسَ الْوَالِدِيَّةَ فَخَلَقْنَا الْمَلَكَةَ الْمُضْغَةَ عِظَانًا فَكَسَوْنَا الْعِظَانَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وقال أيضاً: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

• وأنه قادر سبحانه على أن يجعل لنبه صلى الله عليه وسلم خيراً مما طلبه الكفار على سبيل التحدي، فيجعل له في الدنيا حقائق كثيرة تتخللها الأنهار، ويجعل له قصوراً عظيمة.

قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: ١٠].

هذا وقد أسندت البركة لاسمه تعالى

فقال سبحانه: ﴿بَرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

فقال سبحانه: ﴿بَرَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ [الأنعام: ٩٢].

والآيات السابقة أتت بصيغة تفاعل من البركة التي يقول عنها علامة الزيتون ابن عاشور - عليه سحائب الرضوان -: «وفعل تبارك في صورة اشتقاقه يؤذن بإظهار الوصف على صاحبه المتصف به مثل: تناقل: أظهر الثقل في العمل، وتعالل، أي: أظهر العلة، وتعاضم: أظهر العظمة، وقد يستعمل بمعنى ظهور الفعل على المتصف به ظهوراً بيناً حتى كأن صاحبه يظهره.

وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَأَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

ومنه: ﴿تَمَلَّى اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٣]. أي: ظهر علوه، أي: شرفه على الموجودات كلها. ومنه ﴿تَبَارَكَ﴾ أي: ظهرت بركته، والبركة: شدة الخير.

وقوله تعالى أيضاً: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

فبركة الله الموصوف بها هي مجده ونزاهته وقدسه، وذلك جامع صفات الكمال، ومن ذلك أن له الخلق والأمر، واتباع اسم الجلالة بالوصف - كرب العالمين ونحوه - في معنى البيان لاستحقاقه البركة والمجد؛ لأنه مفيض خيرات الإيجاد والإمداد، ومدير أحوال الموجودات، بوصف كونه رب أنواع المخلوقات»<sup>(١)</sup>.

٢. البيت الحرام. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

ثانياً: وصف المقدسات بالبركة:

٣. بلاد الشام. قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمَغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وصف القرآن الكريم عددًا من

وقال تعالى: ﴿وَيَخْتِنِفُ وُلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

أي: «ونجيننا إبراهيم ولو طًا الذي آمن به من العراق، وأخرجناهما إلى أرض الشام التي باركنا فيها بكثرة الخيرات، وفيها أكثر

(١) التحرير والتنوير ٨/ ١٧٠ بتصرف يسير.

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»<sup>(١)</sup>.

وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرَىٰ ظَهْرَهُ وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَأْتِيُوا وَيَوْمَ مَا مَمِينٌ﴾ [سبأ: ١١٨].

٤. بيت المقدس.

قال تعالى: ﴿وَلَسَلِمْنَ مِنَ الرِّيحِ عاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨١].

٥. حول المسجد الأقصى.

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

٦. البقعة المباركة في سبئ.

قال تعالى: ﴿قَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِن شَطِئِ الْأَوْدِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَمْسُكَ الْإِنْفِ أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٣٠].

وصيغة ﴿مباركاً﴾ التي وردت في الآيات المذكورة: اسم مفعول من بارك الشيء إذا جعل له بركة، وهي زيادة في الخير<sup>(٢)</sup>.

وسيم الحديث عن هذه الآيات بما يتناسب مع ورودها في مواضعها اللاحقة من هذا البحث المبارك - إن شاء الله تعالى -.

ثالثاً: الدعاء للصالحين بالبركة عليهم وعلى ذرياتهم:

من المناسبات التي تحدث القرآن الكريم فيها عن البركة: الدعاء للصالحين بالبركة عليهم، وعلى ذرياتهم.

هذا ما جاء على لسان الخليل عليه السلام في قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾<sup>(١٠)</sup> فَبَشَّرْتَهُ بِعَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿١١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعَىٰ قَالَ يَبْنَؤُا إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَأَبَّتْ أَعْمَلُ مَا تُوَمَّرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٣﴾ وَتَدْنِيَهُ أَنْ يَأْتِيَنَّاهُ ﴿١٤﴾ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا إِنَّا كُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿١٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهَوٌ ابْتَلَوْنَا الْيَمِينَ ﴿١٦﴾ وَقَدْنِيَهُ بِدِينِ عَظِيمٍ ﴿١٧﴾ وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٨﴾ سَلَّمَ عَلِيٌّ إِزْرِهِمَ ﴿١٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٠﴾ إِنَّهُ مِن عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١﴾ وَشَرَّزْتَهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِن الصَّالِحِينَ ﴿٢٢﴾ وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَعِظَامٌ لِنَفْسِهِ مَبِيتٌ ﴿٢٣﴾

[الصفافات: ١٠٠-١١٣].

فقوله تعالى: ﴿وَتَرْكُنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ [الصفافات: ١١٣].

معناه: أفضنا عليهما بركات الدين والدنيا، وبأن أخرجنا أنبياء بني إسرائيل من صلبه<sup>(٣)</sup>.

والآيات تثبت مطلب الخليل عليه السلام

(٣) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي ١٢٠/٩.

(١) التفسير الميسر، مجموعة من العلماء ٣٢٧.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٦/٤.

وكانت الآية الأخيرة: أن الله تعالى أغرقهم، وقطع دابر الذين ظلموا، وفيه آية سامية في علوها وهي أن الزلفي عند الله بالحق والإيمان به، لا بالقرابة»<sup>(٢)</sup>.

ومما حمل على الدعاء مباركة موسى عليه السلام في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنستُ نَارًا سَتَرْتُهَا مِنِّي بِخَبْرٍ أُوْءَاتَيْتُكُمْ فِيهَا مِن قَبْلِ لَمْ تَكُون تَصْطَلُونَ ﴿٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهَا نُورِي أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحٰنَ اللَّهِ رَبِّ الْعٰلَمِينَ﴾ [النمل: ٧-٨].

فقد حمل أبو السعود قوله تعالى: ﴿نُورِي أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾ على الدعاء، ونصه: «﴿أَنْ بُورِكَ﴾ معناه أي: بورك على ﴿أَنْ﴾ مفسرة لما في النداء من معنى القول أو بـ ﴿أَنْ بُورِكَ﴾ على أنها مصدرية حذف عنها الجار جرياً على القاعدة المستمرة -نزع الخافض- وقيل: مخففة من الثقيلة، ولا ضمير في فقدان التعويض بـ(لا أوقد) أو السين أو سوف لما أن الدعاء يخالف غيره في كثير من الأحكام»<sup>(٣)</sup>.

وحمل هذه الآية على الدعاء أيضاً الطاهر ابن عاشور ونصه: «وقيل: إن قوله: ﴿أَنْ بُورِكَ مَن فِي النَّارِ﴾ إنشاء تحية من الله تعالى إلى موسى عليه السلام كما كانت تحية الملائكة لإبراهيم: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ﴾

وأنه طلب أن يهبه الله من الصالحين، فكان أن أعطاه الله الذرية الصالحة، ومن عين الصلاح: البركة في الذرية، وفي حديث أبي سعيد الخدري، قال: قلنا: يا رسول الله هذا السلام عليك فكيف نصلي؟ قال: (قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم)<sup>(١)</sup>.

ويدخل في هذا المقام دعاء الصالحين لأنفسهم:

كدعاء نبي الله نوح عليه السلام؛ وذلك بتوجيه من الله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُزَٰلًا مُّبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

أي: «أنزلي إنزالاً فيه خير ونماء وبركة، بأن يثبت الله تعالى قلوب الذين آمنوا على الحق، وقد رأوا بأعينهم عاقبة الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ومعاندة الحق، وقد بارك سبحانه من معه، فجعل منهم ذرية الخليفة، فكان بحق الأب الثاني للإنسانية، وقد أثنى على ربه بما هو حقه ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ أي: أنت الذي تنزل منازل أعلى ما يكون الإنزال المبارك...، ثم عقب ذلك بقوله سبحانه: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِن كُنَّا لَمُبْتَلِينَ﴾ [المؤمنون: ٣٠].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ٣٦٥٨، ٧٧ / ٨.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٢٢٧ / ١٩.

(٣) إرشاد العقل السليم ٢٧٣ / ٦، وأشار الألويسي إلى هذا المعنى في روح المعاني ١٥٦ / ١٠.

عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴿[هود: ٧٣].

أي: أهل هذا البيت الذي نحن فيه<sup>(١)</sup>.  
والمراد بالبركة في الآية الكريمة: النماء  
والزيادة والخير لكليم الله تعالى موسى  
عليه السلام لذاته؛ ولملابسة المكان  
بالملائكة الأطهار، ولطهر البقعة المقدسة  
التي كانت مكان تكليم موسى عليه السلام  
، كما صرح سبحانه بذلك في قوله تعالى:  
﴿ فَلَمَّا آتَيْنَاهَا نُورًا مِنْ شَطِئِ الْأَيْمَنِ فِي  
الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَمْسُكَ الْإِنْسَانُ  
أَنَّا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴾ [القصص: ٣٠].

ومما يدخل في الدعاء بالبركة قوله  
تعالى: ﴿ قَالَتْ يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا  
بِعَلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٣﴾ قَالُوا  
أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ  
أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴾ [هود: ٧٢-٧٣].

والمراد بالرحمة والبركة هنا: الرحمة  
التي وسعت كل شيء، واستتبع كل خير،  
والبركة: الخيرات النامية المتكاثرة في كل  
باب التي من جملتها هبة الأولاد، وقيل:  
الرحمة: النبوة، والبركات: الأسباط من بني  
إسرائيل؛ لأن الأنبياء منهم وكلهم من ولد  
إبراهيم عليه الصلاة والسلام وأهل البيت  
هنا هم أهل بيت خليل الرحمن -عليه وعلى  
نبينا أفضل الصلاة والسلام-<sup>(٢)</sup>.

وما سبق من الآيات يبرهن على أن  
الدعاء والتضرع إلى الله، واستحضار  
خفض الجناح لله عز وجل من أبرز أسباب  
استحضار البركة، والدعاء هو العبادة ومخها  
وخالصها، والمسلم إذا سأل فإنه يسأل الله،  
فهو وحده الذي عنده خيري الدنيا والآخرة،  
وهو سبحانه وحده من يمد بهما من يشاء  
﴿ كَلَّا نُمَدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاؤِ رَبِّكَ وَمَا  
كَانَ عَطَاؤُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٠].

رابعًا: وصف النعم وأسباب السعادة  
بالبركة:

مما لا يرتاب فيه عاقل أن الله تعالى بارك  
نعمه كلها على اعتبار صدورها منه سبحانه  
، وهو عز وجل واهب البركة ومصدرها  
في السماوات والأرض، لكن هذه البركة  
بدت لمن أخذ بأسبابها، وعزت على من  
تنكب طريق الوهاب سبحانه، كما أن الله  
تعالى أفرد بعض النعم بصريح البركة ليوظ  
إحساس العبد تجاه ما لم يشعر به تلبداً منه  
أو تلهياً عنه سبحانه، وهذه النعم التي لفت  
أنظارنا إليها لتتفكرها، وتندبر حكمتها منها  
ما هو حسي، ومنها ما هو معنوي.

فمن النعم الحسية التي وصفها الله  
تعالى بالبركة:

١. الماء النازل والمستقر.

قال تعالى: ﴿ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا

(١) التحرير والتنوير ١٩/٢٢٧.

(٢) زهرة التفاسير، أبو زهرة ١٠/٥٠٦٧.

﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦].

وكما حدث يوم بدر: ﴿إِذْ يَغْشَىٰكُمْ النَّعَاسُ أَمَنَةٌ مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيَطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأَنْفَال: ١١].

﴿جعله سبحانه للإرواء والسقي﴾.

قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوْفِحَ لَؤْيِقِ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢].

﴿استودعه الأرض بقدرته﴾.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَلَئِنَّا عَلَيَّ ذَهَابٌ بِهِ لَلْقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨].

﴿ينفع الله ببركته المؤمنين، ويضر ياذن الله تعالى أعداءهم﴾.

كما حدث مع قوم نوح وموسى عليهما السلام من إغراق.

قال تعالى: ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ﴾ [الفرقان: ٣٧].

وفي قوم موسى عليه السلام قال تعالى: ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَجْبَيْنَكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ نَظَرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠].

وقد حدث ذلك أيضاً مع أهل سبأ، فقال تعالى: ﴿فَاعْرَضُوا فَاَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦].

﴿فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩].

وقد حفل القرآن الكريم بذكر بركات الماء المتمثلة في:

﴿إحياء موات الأرض﴾.

قال تعالى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤].

﴿إخراج الثمرات﴾.

قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢].

﴿إخراج النبات﴾.

قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُسْتَبِيهَا وَغَيْرَ مُتَسَبِّهِ﴾ [الأَنْعَام: ٩٩].

﴿حمل الفلك﴾.

قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

﴿خلق الله منه كل شيء﴾.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يَتُوبُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠].

وقال أيضاً: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ﴾ [النور: ٤٥].

﴿يتطهر به﴾.

قال عز من قائل: ﴿يَتَأْتِيهَا الْبُرُوقُ أَامْتُونَ﴾

يقول الفخر فيما يخص بركة المطر: «وصف الله تعالى المطر بالبركة...، لما فيه من المنافع»<sup>(١)</sup> ولنا أن نذهب النفس كل مذهب في منافع المطر التي تمت معرفتها، وما سيكتشفه العلم منها إلى قيام الساعة، وأنه بركة من بركات السماء على أهل الأرض يجب على المسلمين اكتنازها وادخارها لوقت الحاجة إليها.

## ٢. شجرة الزيتون.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

وهي الشجرة التي تخرج من طور سيناء، قال تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَبِغٌ لِلَّذِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٠].

وهي التي أقسم الله بها في سورة التين، فقال تعالى: ﴿وَالَّتَيْنِ وَالزَّيْتُونَ﴾<sup>(١)</sup> و﴿طُورِ سِينِينَ﴾<sup>(٢)</sup> وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ<sup>(٣)</sup> لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ١-٤].

يقول الفخر: «وصف الله تعالى شجرة الزيتون بالبركة لكثرة منافعها»<sup>(٢)</sup>.

مفرغ على المكتبة الشاملة تحت عنوان: فوائد الزيتون: الزيتون شجرة مباركة كما سماها الله، سبحانه وتعالى، والعلماء بحثوا في هذا الزيتون والفوائد الكثيرة الموجودة فيه، فمن ضمن ما ذكروا في الأبحاث الحديثة: أنهم رصدوا ظاهرة صحية لسكان بعض جزر البحر المتوسط، فوجدوا بعض السكان كسكان جزيرة كريت وغيرها أنهم يعيشون حياة طيبة، وأن صحتهم عالية، ودرجة الحيوية عندهم عالية، وأنهم يتمتعون بصحة ونشاط، وحاولوا أن يبحثوا عن سر صحة أهل هذه الجزر، كريت وما حولها، فوجدوا أن الغذاء عندهم يعتمد أساساً على زيت الزيتون، فهم أقل الناس تعرضاً للإصابة بارتفاع ضغط الدم، وأمراض القلب، وأمراض تصلب الشرايين؛ لأنهم يتمتعون بمستوى معتدل صحي بنسبة الكوليسترول الموجودة في دم الإنسان، والسبب في هذا كله اعتمادهم على زيت الزيتون، وعلى الزيتون في طعامهم، والعصرة الأولى من زيت الزيتون فيها الفوائد كلها، وزيت الزيتون غني جداً بالدهون، وفيه نوعان من أنواع الدهون: دهون مشبعة، ودهون غير مشبعة: فالدهون المشبعة فيه نسبة قليلة منها، ومفيدة للإنسان، والدهون غير المشبعة فيه نسبة كبيرة منها، وهي مفيدة جداً جداً، ولا توجد إلا في الزيوت النباتية فقط، مثل زيت الزيتون، وزيت السمسم، وزيت الذرة، وفيها الزيوت غير المشبعة، وهي مفيدة للإنسان، والزيوت غير المشبعة الموجودة في زيت الزيتون هي دهون ومع ذلك يقولون: إنها تساعد على تخفيف الدهون الموجودة في الجسم، فالإنسان السمين إذا شرب من زيت الزيتون فإنه يساعده على تخفيف أو إزالة الدهون الموجودة في الجسم، ومن العجب أن تأخذ دهناً لتزِيل به دهناً آخر! فدهن زيت الزيتون هذا غير مشبع، ويمنع الأكسدة التي تؤدي لحمول ذهن الإنسان، وعدم التفكير، وغير ذلك من الأمراض.

(١) مفاتيح الغيب ٢/ ٢٦٥ بتصرف يسير.

(٢) مفاتيح الغيب ٢/ ٢٦٥ بتصرف يسير.

يقول الطبيب أحمد حطيه في درس صوتي له

«ووصفها بالبركة لما أن نزول القرآن مستتبعٌ للمنافع الدينية والدنيوية بأجمعها، أولما فيها من تنزل الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة، وقسم النعمة، وفصل الأفضية، وفضيلة العبادة، وإعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم»<sup>(١)</sup>.

والمقصود من تشریف الليلة التي كان ابتداء إنزال القرآن فيها تشریف آخر للقرآن بتشریف زمان ظهوره، تنبيهاً على أنه تعالى اختار لابتداء إنزاله وقتاً شريفاً مباركاً؛ لأن عظم قدر الفعل يقتضي أن يختار لإيقاعه أفضل الأوقات والأمكنة، فاختيار أفضل الأوقات لابتداء إنزاله ينبى عن علو قدره عند الله تعالى كقوله: ﴿لَا يَسْتَسْأَلُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة (٧٩)]<sup>(٢)</sup>.

وسمى ليلة القدر مباركة إذ القرآن ذكر مباركاً، أنزله ملك مبارك، في ليلة مباركة، على نبي مبارك، لأمة مباركة<sup>(٣)</sup>.

❖ نعمة نزول القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُكًا مُّصَدِّقًا لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢].

وبركة هذه النعمة لا يستطيع أحد مهما

فهي شجرة تشرب الماء وتخرج الزيت، جعل الله عز وجل في هذه الشجرة أدماً ودهناً، وهي صبيغ للأكلين.

٣. ليلة القدر، ليلة إنزال القرآن الكريم.

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾

[القدر: ١].

وهي الليلة المباركة التي أخبر الله عنها

في قوله تعالى: ﴿حَمِّ ۝ وَالْكِتَابِ الْمُمِينِ ۝ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ ۝ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ [الدخان: ١-٣].

ومن الأبحاث التي أجريت على زيت الزيتون: أن ملعقة من زيت الزيتون يوميًا تقلل من سرطان الثدي عند النساء أربعين في المائة، وكذلك تناول زيت الزيتون لمريض قرحة المعدة تساعده على قتل نوع من أنواع الجرثومات تسمى: الهلوبيكتر، وهي نوع من أنواع الجرثومات الحلزونية الموجودة في المعدة، وتعمل على قرحتها، فشراب زيت الزيتون يقضي على هذه الجرثومة، ويمنع من سرطان المعدة، ومن سرطان القولون كذلك، ومن تصلب الشرايين، وزيت الزيتون ملطف وملين ومدر للصفراء، ومفتت للحصى، ويحتوي على مضادات للاكسدة في جسم الإنسان، وكذلك يحتوي على فيتامينات: فيتامين أ و ب و هـ و ج ولو دهن الإنسان شعر رأسه فإنه يمنع من سقوط شعر الرأس، ودهانه لجلد الإنسان مع شربه يمنع التشققات وغيرها من الأمراض الجلدية التي تكون عند الإنسان.

هذه جملة من الفوائد التي جمعها الله، سبحانه وتعالى، لنا، وقال في زيت الزيتون

أو في الزيتون نفسه: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّقْنِ وَصَبِغٌ لِلْأَكْلِينَ ۝﴾ [المؤمنون: ٢٠].

(١) إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٥٨/٨.

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤٥٧/٣٠.

(٣) مفاتيح الغيب، الرازي ٢٦٥/٢ بتصرف.

أوتي من علم أن يحدها بحد، أو يحصرها بحصر، بل يعجز الإنسان عن بيان نعمة القرآن على الكون وما حواه من منافع دنيوية أو أخروية، وصدق الله العظيم: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ أَقْوَمٌ﴾ [الإسراء: ٩].

يقول الشيخ الشنقيطي: «وهذه الآية الكريمة أجمل الله جل وعلا فيها جميع ما في القرآن من الهدى إلى خير الطرق وأعدلها وأصوبها، فلو تتبعنا تفصيلها على وجه الكمال لأتينا على جميع القرآن العظيم لشمولها لجميع ما فيه من الهدى إلى خيري الدنيا والآخرة»<sup>(١)</sup>.

❁ تحية الإسلام، السلام عليكم.

من النعم المعنوية الموصوفة في القرآن الكريم بالبركة تحية الإسلام السلام عليكم؛ لقوله سبحانه: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ بَيِّنٌ لَّكُمْ الْآيَاتِ لِمَلَكُم تَقُولُونَ﴾ [النور: ٦١].

سمى الله تعالى السلام تحية من عنده سبحانه، وهذه التحية من جوامع الكلم؛ لأن المقصود من التحية تأنيس الداخل بتأمينه إن كان لا يعرفه وبالإلطف له إن كان معروفاً...، والمباركة أي: المجعولة فيها البركة، والبركة: وفرة الخير، وإنما كانت هذه التحية مباركة لما فيها من نية

المسالمة، وحسن اللقاء والمخالطة؛ وذلك يوفر خير الأخوة الإسلامية، والطيبة: ذات الطيب، وهو بمعنى النزاهة والقبول في نفوس الناس، ووجه طيب التحية أنها دعاء بالسلامة، وإيدان بالمسالمة والمصافاة<sup>(٢)</sup>.

وتحية الإسلام حيا الله تعالى بها جميع المرسلين بقوله تعالى: ﴿وَسَلِّمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ [الصفات: ١٨١].

وهي تحية أهل الجنة بعضهم بعضاً: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١﴾ دَعَوْنَهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَّآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس: ٩-١٠].

وهي تحية الملائكة المطهرين للصالحين أهل الجنة: ﴿جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٣٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣-٢٤].

والسلام تحية المؤمنين من الله في الجنة يوم يلقونه سبحانه: ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٤].

والسلام تحية خزنة الجنة من الملائكة لأهل الجنة: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾

(١) أضواء البيان ٣/ ١٧-٥٥.

(٢) التحرير والتنوير، عاشور ١٨/ ٣٠٤ بتصرف.

[الزمر: ٧٣].

## مجالات البركة

تعددت مجالات البركة في القرآن الكريم، وسوف نتناولها بالبيان فيما يأتي:  
**أولاً: أسماء الله وصفاته:**

من مجالات البركة أسماء الله تعالى وصفاته، حيث وصف سبحانه وتعالى نفسه في غير ما آية من القرآن الكريم مرة بالبركة وصفاً لذاته سبحانه ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾، ومرة أخرى وصفاً لاسمه سبحانه ﴿بِزَكَرَ أَتَمُّ رَبِّي﴾، ومرة ثالثة أدخل سبحانه وصف البركة على ما يشير إليه قوله عز وجل: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي﴾.

وهذا يدل على استحقاق ذاته سبحانه للبركة، واستحقاق اسمه الشريف ﴿اللَّهُ﴾ لذلك أيضاً، واستحقاق ما يشير إليه سبحانه بذلك، وكل ما يتصل به جل وعلا.

والملاحظ في وصفه سبحانه لذاته بالبركة أو وصف اسمه جل وعلا بذلك أو وصف ما يشير إليه تعالى أنه ليس وصفاً خالياً من التعليل أو الحكمة، بل لدينا في كل آية تخص «الذات الشريفة أو الاسم الشريف أو الإشارة إليه عز وجل» من ثوابت قدرته ومقام عظمته سبحانه ما يستحق الوصف بذلك، ومع الآيات وهداياتها، وأسرارها نمضي لإقامة الحجة وبيان البرهان الساطع على ما نقول.

وتحية الإسلام فيها من شمول المعنى لكل سلامة من كل آفة، وأمن من كل مخالفة، وصدق في الدعاء، ما لا نظير له في جميع تحايا الأمم من العرب وغيرهم، فتحية الإسلام كمال لا خداج فيها، وصدق لا كذب فيها<sup>(١)</sup>.

(١) معجم المناهي اللفظية، بكر أبو زيد ص ٥٥٨.

وفيوضات الربوبية، يقول الفخر الرازي: «إذا دقت النظر علمت أن عالم الخلق في تسخير الله، وعالم الأمر في تدبير الله، واستيلاء الروحانيات على الجسمانيات بتقدير الله، فلهذا المعنى قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ﴾ ثم قال بعده: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ والبركة لها تفسيران:

أحدهما: البقاء والثبات.

والثاني: كثرة الآثار الفاضلة، والنتائج الشريفة.

وكلا التفسيرين لا يليق إلا بالحق سبحانه ، فإن حملته على الثبات والدوام، فالثابت والدائم هو الله تعالى ؛ لأنه الموجود الواجب لذاته، العالم لذاته القائم بذاته الغني في ذاته وصفاته وأفعاله وأحكامه عن كل ما سواه، فهو سبحانه مقطع الحاجات

وقال السلطان: «والنوع الثاني بركة: هي صفته تضاف إليه إضافة الرحمة والعزة، والفعل منها تبارك؛ ولهذا لا يقال لغيره كذلك، ولا يصلح إلا له، عز وجل؛ فهو، سبحانه، المبارك، وعبدُه ورسولُه المبارك؛ كما قال المسيح:

﴿وَجَمَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ

مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١]، فمن بارك الله فيه؛ فهو المبارك، وأما صفته؛ فمختصة به؛ كما أطلق على نفسه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حِينًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وانظر: صفات الله عز وجل، الواردة في الكتاب والسنة، علوي السقاف ص ٧٠.

ففي قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلُ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حِينًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

بيان للربوبية، والألوهية التي من آثارها خلق السماوات والأرض في مقدار ستة أيام، ثم الاستواء على العرش استواء يليق بذاته سبحانه وتعالى، ثم ستر الليل النهار فيصير الجو مظلمًا بعد ما كان مضيئًا، يطلبه حينًا، أي: سريعًا طبق الحكمة والكمال، كما احتوت الآية الكريمة من عجائب القدرة تذليله سبحانه وتعالى للشمس وللقمر وللنجوم السيارة؛ إذ الكل مأمور بأمره يسخرهن سبحانه كما يشاء، وهن من آيات الله العظيمة، ألا له سبحانه وتعالى الخلق كله وله الأمر كله، تعالى الله وتعظم وتنزه عن كل نقص، رب الخلق أجمعين.

وختم الآية الكريمة بـ ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ الذي هو وصف خاص به سبحانه «لم يجع منه مضارع ولا أمر ولا اسم فاعل»<sup>(١)</sup> مشعرٌ بما احتوته من دلائل القدرة،

(١) روح المعاني، الألويسي ٤/ ٣٧٨.

قال ابن القيم: «وأما صفته تبارك فمختصة به، تعالى، كما أطلقها على نفسه، وقال: فتباركه، سبحانه، صفة ذات له وصفة فعل»، بدائع الفوائد ٢/ ١٨٥.

والملاحظ أن هذه الآية الكريمة قدمت للوصف بالبركة بمقدمات كلها معجز، ومختص بذات الله وحكمه وقدرته سبحانه حيث خلق آدم من طين، وخلق بنيه من نطفة، ثم خلق النطفة علقه أي: دمًا أحمر، فخلق العلقه - بعد أربعين يومًا - مضغًا، أي: قطعة لحم قدر ما يمضغ، فخلق المضغ اللينة عظامًا، فكسا العظام لحمًا، ثم أنشأه خلقًا آخر بنفخ الروح فيه، ثم يأتي الختام بـ ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ﴾ الذي أحسن كل شيء خلقه.

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَلِكَ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

وصف فيه الحق سبحانه ذاته بالبركة، وقدم بصور تمثل قدرته سبحانه وإرادته من جعله الأرض مستقرًا لنا، ميسرة لإقامتنا عليها، وجعله السماء سقفاً للأرض، وبثه سبحانه فيها من العلامات الهادية، ومن خلقه إيانا على أكمل هيئة وأحسن تقويم، ومن إنعامه علينا بحلال الرزق، ولذيذ المطاعم والمشارب، ذلكم المنعم المتفضل هو ربنا وخالقنا، فتكاثر خيره وفضله وبركته، وتنزه عما لا يليق به، وهو رب الخلائق أجمعين. وكما ورد الوصف بالبركة لذات الله

ومنهى الافتقارات وهو غني عن كل ما سواه في جميع الأمور.

وأيضًا إن فسرنا البركة بكثرة الآثار الفاضلة فالكل بهذا التفسير من الله تعالى؛ لأن الموجود إما واجب لذاته، وإما ممكن لذاته، والواجب لذاته ليس إلا هو، وكل ما سواه ممكن، وكل ممكن فلا يوجد إلا بإيجاد الواجب لذاته، وكل الخيرات منه، وكل الكمالات فائضة من وجوده وإحسانه، فلا خير إلا منه، ولا إحسان إلا من فيضه، ولا رحمة إلا وهي حاصلة منه، فلما كان الخلق والأمر ليس إلا منه، لا جرم كان الثناء المذكور بقوله: ﴿تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤]. لا يليق إلا بكبريائه، وكمال فضله، ونهاية جوده ورحمته<sup>(١)</sup>.

ومن الآيات التي وصفت ذات الله بالبركة:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْوِطْنَ لِحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٢-١٤].

(١) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ١٤/٢٧٤، روح المعاني، الألوسي ٤/٣٧٨.



الله متلذذين به، فقال: ﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ أي: في ذلك اليوم لا يبقى اسم أحدٍ إلا اسم الله تعالى به تدور الألسن، ولا يكون لأحدٍ عند أحدٍ حاجةٌ بذكره، ولا من أحدٍ خوفٌ، فإن تذكروا تذكروا باسم الله<sup>(١)</sup>.

وكما دخلت البركة على العلم على الذات العلية، وعلى الاسم الشريف، دخلت على ما يشير إليه عز وجل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

حيث افتتحت السورة بما يدل على منتهى كمال الله تعالى افتتاحاً يؤذن بأن ما حوته يحوم حول تنزيه الله تعالى عن النقص الذي افتراه المشركون لما نسبوا إليه شركاء

الله تعالى لا غير والدنيا فانية، والآخرة وإن كانت باقيةً لكن بقاؤها بإبقاء الله تعالى، ثانيها: هو أنه تعالى في أواخر هذه السور كلها ذكر اسم الله فقال في السورة التي قبل هذه: ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقَدِّرٍ﴾ [القمر: ٥٥].

وكون العبد عند الله من أتم النعم كذلك هاهنا بعد ذكر الجنات وما فيها من النعم، قال: ﴿بَرَكَةُ أَسْمِ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

إشارةً إلى أن أتم النعم عند الله تعالى، وأكمل اللذات ذكر الله تعالى، وأصل التبارك من البركة، وهي الدوام والثبات، ومنها بروتك البعير وبركة الماء، فإن الماء يكون فيها دائماً، وفيه وجوهٌ: أحدها: دام اسمه وثبت.

وثانيها: دام الخير عنده؛ لأن البركة وإن كانت من الثبات لكنها تستعمل في الخير. وثالثها: تبارك بمعنى علا وارتفع.

وقال بعد ذكر نعم الدنيا: ﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ﴾ [الرحمن: ٢٧].

وقال بعد ذكر نعم الآخرة: ﴿بَرَكَةُ أَسْمِ رَبِّكَ﴾ لأن الإشارة بعد عد نعم الدنيا وقعت إلى عدم كل شيءٍ من الممكنات وفنائها في ذواتها، واسم الله تعالى ينفع الذاكرين ولا ذاك هناك يوحد الله غاية التوحيد، فقال: ﴿وَبَقِيَ وَجْهَ رَبِّكَ﴾ والإشارة هنا وقعت إلى أن بقاء أهل الجنة بإبقاء الله ذاكرين اسم

(١) مفاتيح الغيب، ٣٨٢/٢٩.

وانظر: جامع البيان، الطبري ٨٦/٢٣، زاد المسير، ابن الجوزي ٢١٧/٤، اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي ٣٦٦/١٨، وتفسير القرآن، العزيز عبد السلام ٢٧١/٣.

وقد حمل الخطيب الاسم في الآية: ﴿بَرَكَةُ

أَسْمِ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨] على اسم الرحمن فقال: «أي: هذا لاسم الذي افتتح به سورة الرحمن كأنه يعلمهم أن هذا كله خرج لكم من رحمتي، فمن رحمتي خلقتكم، وخلقت لكم السماء والأرض والخليقة والجنة والنار، فهذا كله لكم من

اسم الرحمن، فمدح اسمه، فقال تعالى: ﴿بَرَكَةُ

أَسْمِ رَبِّكَ ذِي الْجَلَلِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

السراج المنير ١٧٨/٤.

الثناء، وإما باستعمال الصيغة المشتركة بين الإخبار والإنشاء في معنيها، ولو صيغ بغير هذا الأسلوب لما احتمل هاذين المعنيين.

وجعل المسند إليه (الذي) اسم موصول للإيدان بأن معنى الصلة مما اشتهر به، كما هو غالب أحوال الموصول، فصارت الصلة مغنية عن الاسم العلم لاستوائهما في الاختصاص به؛ إذ يعلم كل أحد أن الاختصاص بالملك الكامل المطلق ليس إلا لله<sup>(١)</sup>.

قال أهل اللغة: كلمة (الذي) موضوعة للإشارة إلى الشيء عند محاولة تعريفه بقضية معلومة، وعند هذا يتوجه الإشكال، وهو أن القوم ما كانوا عالمين بأنه سبحانه هو الذي نزل الفرقان، فكيف حسن هاهنا لفظ (الذي)؟ وجوابه: أنه لما قامت الدلالة على كون القرآن معجزاً ظهر بحسب الدليل كونه من عند الله، فلقوة الدليل، وظهوره أجراه سبحانه وتعالى مجرى المعلوم<sup>(٢)</sup>.

ومن أمثلة دخول البركة على ما يشير إليه سبحانه في قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا﴾ [الفرقان: ١٠].

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٩/٢٩، ٣١٦/١٨

(٢) انظر: مفاتيح الغيب، الرازي ٤٢٨/٢٤، المحرر الوجيز، ابن عطية ٤/١٩٩، مدارك التنزيل، النسفي ٢/٥٢٤.

في الربوبية والتصرف معه والتعطيل لبعض مراده، ففي هذا الافتتاح براءة الاستهلال، و﴿تَبَارَكَ﴾ المستعمل منه الماضي وحده، وزنه تفاعل، وهو مطاوع بآرك من البركة، وبارك فاعل من واحد، معناه زاد.

و﴿تَبَارَكَ﴾ فعل مختص بالله تعالى لم يستعمل في غيره؛ ولذلك لم يصرف منه مستقبل ولا اسم فاعل، وهو صفة فعل أي: كثرت بركاته، ومن جملتها إنزال كتابه الذي هو الفرقان بين الحق والباطل، وجميع البركات منه سبحانه وحده، وهو يدل على التعظيم والمبالغة في وفرة الخير، وهو في مقام الثناء يقتضي العموم بالقرينة، أي: يفيد أن كل وفرة من الكمال ثابتة لله تعالى، بحيث لا يتخلف نوعٌ منها عن أن يكون صفةً له تعالى.

وصيغة تفاعل إذا أسندت إلى واحد تدل على تكلف فعل ما اشتقت منه، نحو: تطاول وتغابن، وترد كناية عن قوة الفعل وشدته مثل: تواصل الحبل، وهو مشتق من البركة، وهي زيادة الخير ووفرته، وهذا الكلام يجوز أن يكون مراداً به مجرد الإخبار عن عظمة الله تعالى وكماله، ويجوز أن يكون مع ذلك إنشاء ثناء على الله أثناءه على نفسه، وتعليماً للناس كيف يشنون على الله ويحمدونه، كما في ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢].

إما على وجه الكناية بالجملة عن إنشاء

في الأنعام: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].  
 وقوله فيها أيضًا: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ [الأنعام: ٩٢].  
 وقوله تعالى في ص: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

فرجو الله تعالى القريب المجيب أن تغمرنا بركات هذا الكتاب العظيم المبارك بتوفيق الله تعالى لنا لتدبر آياته، والعمل بما فيها من الحلال والحرام، والأوامر والنواهي، والمكارم والآداب، امتثالاً واجتناباً، إنه قريبٌ مجيبٌ<sup>(١)</sup>.

ومما لا ريب فيه أن النظرة الموضوعية للآية لا تستغني بحال عن النظرة التحليلية؛ إذ التحليل يزيد من عبق موضوعية الآية، ويكشف عن مستور كنوز القرآن، واستكناه درره الخبيثة، وهذا ما يفعل الإفادة من التفسير الموضوعي للقرآن.

يقول العلامة الرازي مظهرًا مجمل البركة القرآنية: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَكُمْ تَرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

أي: كثير المنافع والفوائد؛ لاشتماله على منافع الدارين، وعلوم الأولين والآخرين، وما لا يتناهى من الفوائد، قال أهل المعاني: كتابٌ مباركٌ أي: كثيرٌ خيره، دائمةٌ بركته

(١) أضواء البيان ٤/ ١٦٢.

وقوله تعالى: ﴿نَبَارَكُ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

وقوله تعالى أيضًا في سورة الزخرف: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف: ٨٥].

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

وما أسلفناه عن صيغة تبارك ودخولها على الموصول ينطبق على كل نظير مع مراعاة السياق.

ومن مجالات البركة - فوق ما تقدم - مما يتصل بالله تعالى: وصف القرآن بالبركة.

قال تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢].

يقول الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان عند تفسيره قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة: أن هذا القرآن العظيم ذكراً مباركاً، أي: كثير البركات والخيرات؛ لأن فيه خيري الدنيا والآخرة... وما ذكره جل وعلا في هذه الآية الكريمة من أن هذا القرآن مباركٌ بينه في مواضع متعددة من كتابه، كقوله تعالى

من يضعون جل أوقاتهم في طلب العلم الديني بعلوم الكلام وغيرها، مما يعدون الرازي الإمام المطلق فيها؛ لعلهم يرجعون إلى كتاب الله تعالى، ويهتدون به، ويطلبون السعادة من فيضه دون غيره، ونسأل الله تعالى أن يوفقنا لإتمام تفسيره، وأن يجعله حجة لنا لا علينا بكمال التخلق به»<sup>(٢)</sup>.

ويتدبر الآيات التي تحدثت عن القرآن وإنزاله موصوفاً بالبركة فإننا نلاحظ أن الإنزال فيها سبق البركة مرة، والبركة فيها سبقت الإنزال مرة أخرى، ولا شك أن لذلك حكمته اللطيفة، ونكتته البديعة.

يقول أبو حيان: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ﴾ [الأنعام: ٩٢]. أي: وهذا القرآن لما ذكر وقرر أن إنكار من أنكر أن يكون الله أنزل على بشر شيئاً وحاجهم بما لا يقدرُونَ على إنكاره أخبر أن هذا الكتاب الذي أنزل على الرسول مباركٌ كثير النفع والفائدة؛ ولما كان الإنكار إنما وقع على الإنزال فقالوا: ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١].

وقيل: ﴿قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ﴾ كان تقديم وصفه بـ(الإنزال) أكد من وصفه بكونه (مباركاً) ولأن ما أنزل الله تعالى فهو مباركٌ قطعاً فصارت الصفة بكونه مباركاً، كأنها صفة مؤكدة؛ إذ تضمنها ما قبلها ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مَّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

(٢) تفسير المنار ٥١٦/٧.

ومنفعته، يبشر بالثواب والمغفرة، ويزجر عن القبيح والمعصية، وأقول: العلوم إما نظرية، وإما عملية، أما العلوم النظرية فأشرفها وأكملها معرفة ذات الله وصفاته وأفعاله وأحكامه وأسمائه، ولا ترى هذه العلوم أكمل ولا أشرف مما تجده في هذا الكتاب، وأما العلوم العملية فالمطلوب إما أعمال الجوارح، وإما أعمال القلوب، وهو المسمى بطهارة الأخلاق، وتركية النفس، ولا تجد هذين العلمين مثل ما تجده في هذا الكتاب، ثم قد جرت سنة الله تعالى بأن الباحث عنه، والمتمسك به يحصل له عز الدنيا، وسعادة الآخرة.

ثم عقب ذلك بقوله متحدثاً بنعمة الله عليه: «يقول مصنف هذا الكتاب محمد بن عمر الرازي: وأنا قد نقلت أنواعاً من العلوم النقلية والعقلية، فلم يحصل لي بسبب شيء من العلوم من أنواع السعادات في الدين والدنيا مثل ما حصل بسبب خدمة هذا العلم»<sup>(١)</sup>.

يقول محمد رشيد رضا بعد أن نقل نص الرازي: «هذا العلم أي: علم القرآن بتفسيره»، ثم يعقب بقول: «فليعتبر بهذا

(١) مفاتيح الغيب ١٣/٦٤.

وانظر: حاشية الشهاب ٩٥/٤، ومحاسن التأويل، القاسمي ٤٢٩/٤، التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٧٠/٧، تفسير المنار، محمد رشيد رضا ٥١٦/٧.

كما تكون باللفظ الصريح تكون بغيره من المفردات، أما الأمم فمن باركه الله فهو المبارك فحسب.

ومن الأنبياء الذين وردت البركة وصفًا لهم في استعمال القرآن صراحة نبي الله نوح وإبراهيم وإسحاق وعيسى عليهم السلام، وتفصيل ذلك فيما يلي:

١. نبي الله نوح عليه السلام.

جاءت آيات تتحدث عن البركة في معية نبي الله نوح عليه السلام، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

والآية الكريمة تحمل توجيهها لنبي الله نوح عليه السلام أن يدعو ربه أن يسر له النزول المبارك الآمن؛ إذ الله بيده مقاليد كل شيء، ومن ذلك اختيار الخير لنزول نبيه من الفلك، فهو -جل شأنه- خير من أنزل عباده المنازل، ويتسلسل بنا قرآنيًا الشيخ الشنقيطي رحمه الله في رحلة نوح عليه السلام.

فيقول معلقًا على قوله تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

«ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة: أن نبيه نوحًا -عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام- أمر أصحابه الذين قيل له أحملهم فيها أن يركبوا فيها قائلًا: ﴿يَسِّرْ اللَّهُ مَجْرِبَتَهَا

فلم يرد في معرض إنكار أن ينزل الله شيئًا، بل جاء عقب قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَاتِنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفَرَقَانَ وَضِيَاءَهُ وَذَكَرَ الْمُتَّقِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٨].

ذكر أن الذي آتاه الرسول هو ذكرٌ مبارك؛ ولما كان الإنزال يتجدد عبر بالوصف الذي هو فعلٌ، ولما كان وصفه بالبركة وصفًا لا يفارق عبر بالاسم الدال على الثبوت<sup>(١)</sup> اللهم كما باركت للمتقدمين من أهل القرآن وخدامه بارك لنا في أنفسنا، وفي أولادنا وفي مجتمعاتنا، وارزقنا العمل به.

ثانيًا: الأنبياء وأمهم:

من مجالات البركة في القرآن الكريم ما تناوله القرآن في حديثه عن الأنبياء وأمهم، ومما لا شك فيه أن الله بارك الصالحين بصفة عامة، ولولا بركة الله وفضله عليهم ما كانوا صالحين، ورسل الله من المصطفين الأخيار؛ لقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥].

فهم ذروة الصلاح، ومجمع بركة الله، هذه عقيدتنا، لكن القرآن الكريم في استعمالاته ذكر جمعًا من الأنبياء وصفهم بالبركة صراحة، وهذا لا يعني أن غير المذكور من الأنبياء ليس مباركًا؛ إذ البركة

(١) البحر المحيط ٤/ ٦٥٧.

وَمُرْسِنَهَا ﴿[هود: ٤١].

أي: بسم الله يكون جريها على وجه الماء، وبسم الله يكون منتهى سيرها، وهو رسوها، وبين في (سورة الفلاح): أنه أمره إذا استوى على السفينة هو ومن معه أن يحمدا الله الذي نجاهم من الكفرة الظالمين، ويسألوه أن ينزلهم منزلاً مباركاً؛ وذلك في قوله: ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفَلَائِكِ فَقُلْ إِنْ كُنْتُمْ لِلَّهِ الْوَالِدِينَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٩﴾ [المؤمنون: ٢٩، ٢٨].

وبين في سورة الزخرف ما ينبغي أن يقال عند ركوب السفن وغيرها بقوله: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَرْوَاحَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفَلَائِكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرَكُونَ ﴿١٢﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الزخرف: ١٢-١٤] (١).

والدعاء في الآية الكريمة ﴿رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلاً مُبَارَكاً وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

يتضمن سؤال سلامة من غرق السفينة، وهذا كالمحامد التي يعلمها الله محمداً صلى الله عليه وسلم يوم الشفاعة، فيكون في ذلك التعليم إشارة إلى أنه سيتقبل ذلك منه، وجملة: ﴿وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾ في موضع

الحال، وفيها معنى تعليل سؤاله ذلك (٢).

قال القرطبي: «وبالجملة فالآية تعلية من الله عز وجل لعباده إذا ركبوا، وإذا نزلوا أن يقولوا هذا، بل وإذا دخلوا بيوتهم وسلموا قالوها» (٣).

وثمره الدعاء السالف تظهر في قوله تعالى مستجيباً: ﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّمٌ سَمِعَتْهُمِ ثُمَّ يَمْسَهُنَّ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٨﴾ [هود: ٤٨].

ثم إنه تعالى لما وعده بالسلام أردفه بأن وعده بالبركات التي هي عبارة عن الدوام والبقاء، والثبات، ونيل الأمل، ومنه بروت الإبل، ومنه البركة لثبوت الماء فيها، ومنه تبارك وتعالى، أي: ثبت تعظيمه، ثم اختلف المفسرون في تفسير هذا الثبات والبقاء.

فالقول الأول: أنه تعالى صير نوحاً أبا البشر؛ لأن جميع من بقي كانوا من نسله، وعند هذا قال هذا القائل: إنه لما خرج نوحٌ من السفينة مات كل من كان معه ممن لم يكن من ذريته، ولم يحصل النسل إلا من ذريته، فالخلق كلهم من نسله وذريته، وقال آخرون: لم يكن في سفينة نوح عليه السلام إلا من كان من نسله وذريته، وعلى التقديرين فالخلق كلهم إنما تولدوا منه ومن

(٢) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤٧/١٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١١٩/١٢.

(١) أضواء البيان، ٢/١٨٤.

ختم الآية، قال الحسن: فأنجى الله نوحًا والذين آمنوا، وهلك المتمتعون! حتى ذكر الأنبياء كل ذلك يقول: أنجاه الله وهلك المتمتعون<sup>(٢)</sup>.

قال محمد بن كعب: ﴿قِيلَ يَنْجُكَ أَهْبَطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾ [هود: ٤٨].

قال: فما بقي مؤمنٌ ولا مؤمنةٌ إلا دخل في ذلك السلام، وفي تلك البركات إلى يوم القيامة<sup>(٣)</sup>.

وبشر نوح بالسلامة إيدانًا له بمغفرة ربه له ورحمته إياه، وبإقامته في الأرض آمنًا من الآفات الدنيوية؛ إذ كانت الأرض قد خلت مما ينتفع به من النبات والحيوان، فكان ذلك تبشيرًا له بعود الأرض إلى أحسن حالها؛ ولذلك قال: ﴿وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾ أي دائمة باقية عليك.

والمعنى: أن السلام منا والبركات دائمة باقية عليك وعلى أمم مؤمنين ينشئون ممن معك، وأممٌ ممتعون بالدنيا منقلبون إلى النار<sup>(٤)</sup>.

وقد بين الله تعالى أن البركة كما أصابت نوحًا عليه السلام فقد أصابت واستعلت

أولاده، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمْ الْبَاقِينَ﴾ [الصفات: ٧٧].

فثبت أن نوحًا عليه السلام كان آدم الأصغر، فهذا هو المراد من البركات التي وعده الله بها.

والقول الثاني: أنه تعالى لما وعده بالسلامة من الآفات، وعده بأن موجبات السلامة يكون في التزايد والثبات والاستقرار، ثم إنه تعالى لما شرفه بالسلامة والبركة شرح بعده حال أولئك الذين كانوا معه، فقال: ﴿وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ﴾ [هود: ٤٨].

والأمم المبارك عليهم المتشعبة منهم نكرةٌ يدل على أن بعض من يتشعب منهم ليسوا على صفتهم، يعني ليس جميع من تشعب منهم مسلمًا ومباركًا عليه، بل منهم أممٌ ممتعون في الدين معذبون في الآخرة، وعلى هذا لا يكون كل من كان مع نوح عليه السلام مسلمًا ومباركًا عليه صريحًا، وإنما يفهم ذلك من كونهم مع نوح عليه الصلاة والسلام ومن كون ذرياتهم كذلك بدلالة النص، ويجوز أن تكون (من) بيانية أي: وعلى أمم هم الذين معك<sup>(١)</sup> عن الحسن: أنه كان إذا قرأ سورة هود، فأتى على يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك، حتى

(٢) أخرجه الطبري في تفسيره ٣٥٥/١٥، وابن

أبي حاتم في تفسيره ٢٠٤١/٦.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٤١/٦.

(٤) انظر: البحر المحييط ١٦٣/٦، مختصر في شواذ القرآن، ابن خالويه ص ٦٥.

(١) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢١٤/٤.

أمّا كانت مع نبي الله نوح عليه السلام ،  
(على) للاستعلاء المجازي، أي: تمكن  
البركة من الإحاطة بهما<sup>(١)</sup>.

وكما أصابت البركة نوحًا عليه السلام  
أصابت أيضًا إبراهيم وذريته من الأنبياء  
عليهم السلام .

٢. نبي الله إبراهيم وذريته من الأنبياء  
عليهم السلام .

من مجالات البركة في القرآن الكريم،  
وضمن حديث القرآن عن الأنبياء يأتي  
خليل الرحمن إبراهيم وذريته من الأنبياء  
عليهم السلام .

يقول الله تعالى: ﴿ سَلَّمَ عَلَٰٓةَ إِبْرَاهِيمَ  
﴿١٦﴾ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّهُ مِن  
عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٨﴾ وَشَرَّعْنَاهُ يَشْرَقُ مِن  
بَيْنَ يَدَيْنَا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ  
إِسْحَاقَ ﴿٢٠﴾ [الصافات: ١٠٩-١١٣].

فقوله تعالى في هذه الآية: ﴿ وَبَارَكْنَا  
عَلَيْهِ ﴾ كقوله تعالى: ﴿ قِيلَ يَنْبُوحُ أَهْرِطْ  
إِسْلَمَ مَنَّا وَبَارَكْتَ عَلَيْنَا وَعَلَىٰٓ أُمُورٍ مِّن مَّعَانِكَ  
وَأُمَّمٌ سَمَّيْتَهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾  
[هود: ٤٨]<sup>(٢)</sup>.

والمعنى: «ثبنا عليهما النعمة، وقيل:  
كثرتا ولدهما، أي: باركتنا على إبراهيم وعلى  
أولاده، وعلى إسحاق حين أخرج أنبياء بني

إسرائيل من صلبه، وقد قيل: إن الكناية في  
(عليه) تعود على إسماعيل وأنه هو الذبيح .

قال المفضل: الصحيح الذي يدل عليه  
القرآن أنه إسماعيل؛ وذلك أنه قص قصة  
الذبيح، فلما قال في آخر القصة: ﴿ وَقَدَّيْنَاهُ  
بِذَبِيحٍ عَظِيمَةٍ ﴾ [الصافات: ١٠٧].

ثم قال: ﴿ سَلَّمَ عَلَٰٓةَ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٦﴾ كَذَٰلِكَ  
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾ ثم قال: ﴿ وَشَرَّعْنَاهُ يَشْرَقُ  
بَيْنَ يَدَيْنَا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٨﴾ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ ﴾ أي: على  
إسماعيل، وعلى إسحاق كنى عنه؛ لأنه قد  
تقدم ذكره<sup>(٣)</sup>.

وحمل أبو حيان الآية على الوعد  
والتوعد، حيث قال: ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ  
إِسْحَاقَ ﴾ أفضنا عليهما بركات الدين  
والدنيا... ﴿ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مَحْسَنٌ وَظَالِمٌ  
لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴾ [الصافات: ١١٣].

فيه وعيدٌ لليهود، ومن كان من ذريتهما  
لم يؤمن بمحمد صلى الله عليه وسلم، وفيه  
دليلٌ على أن البر قد يلد الفاجر، ولا يلحقه  
من ذلك عيبٌ ولا منقصة<sup>(٤)</sup>.

وقد جمع القاسمي البركة في ﴿ وَبَارَكْنَا  
عَلَيْهِ ﴾ في تكثير الذرية، وتسلسل النبوة  
فيهم، وجعلهم ملوكًا، وإيتائهم ما لم يؤت  
أحد<sup>(٥)</sup>.

### ٣. نبي الله عيسى عليه السلام .

(٣) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ١١٢/١٥ .

(٤) البحر المحيط ١٢٠/٩ .

(٥) محاسن التأويل ٢١٩/٨ .

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٦٢/٢٣ .

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن كثير ٣٦/٧ .

في القضاء المحتوم»<sup>(٣)</sup>.

وفسرها ابن عاشور بعد بيان صيغة البركة أحواله في أعماله ومحاورته ونحو ذلك؛ لأن المبارك اسم مفعولٍ من باركه، إذا جعله ذا بركة، أو من بارك فيه، إذا جعل البركة معه.

والبركة: الخير واليمن؛ ذلك أن الله أرسله برحمةٍ لبني إسرائيل ليحل لهم بعض الذي حرم عليهم، وليدعوهم إلى مكارم الأخلاق بعد أن قست قلوبهم، وغيروا من دينهم، فهذه أعظم بركةٍ تقارنه، ومن بركته أن جعل الله حلوله في المكان سبباً لخير أهل تلك البقعة من خصبها واهتداء أهلها، وتوفيقهم إلى الخير؛ ولذلك كان إذا لقيه الجهلة والقساة والمفسدون انقلبوا صالحين، وانفتحت قلوبهم للإيمان والحكمة.

ولذلك ترى أكثر الحواريين كانوا من عامة الأميين من صيادين وعشارين فصاروا دعاة هدى، وفاضت ألسنتهم بالحكمة، وبهذا يظهر أن كونه مباركاً أعم من كونه نبياً عموماً وجهياً، فلم يكن في قوله وجعلني نبياً غنيةً عن قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ والتعميم الذي في قوله: ﴿أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾ تعميمٌ للأمكنة، أي: لا تقتصر بركته على كونه في

(٣) محاسن التأويل ٧/ ٩٣.

وكما ذكر الله تعالى أنبياءه نوح وإبراهيم وذريته من الأنبياء عليهم السلام متصفين بالبركة ذكر نبيه عيسى عليه السلام فقال سبحانه: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

فسر العلماء البركة الموصوف بها نبي الله عيسى عليه السلام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، أو النفع حيث ما توجه، وقال مجاهدٌ: معلماً للخير. وقال عطاءٌ: أدعو إلى الله وإلى توحيده وعبادته.

وعن الضحاك: قضاءٌ للحوائج.

وقيل: مباركاً على من تبني<sup>(١)</sup>.

وفسر القرطبي البركة بقوله: «وأرشد الضال، وأنصر المظلوم، وأغيث الملهوف»<sup>(٢)</sup>.

وفسرها القاسمي بقوله: «أبلغ وحي ربي لتقويم النفوس، وكبح الشهوات، والأخذ بما هو مناط السعادات، والتعبير بلفظ الماضي ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا﴾ باعتبار ما سبق

(١) أخرج هذه الآثار الطبري في تفسيره ١٩٠/١٨، وابن أبي حاتم في تفسيره ٢٤٠٨/٧.

وانظر: معالم التنزيل، البغوي ٥/ ٢٣٠، الكشف، الزمخشري ٣/ ١٥، البحر المحيط، أبو حيان ٧/ ٢٥٨.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ١١/ ١٠٣.

الهيكل بالمقدس، أو في مجمع أهل بلده، بل هو حيشما حل تحل معه البركة»<sup>(١)</sup>.

وفسرهما الإمام محمد أبو زهرة بقوله: «المبارك: النافع الهادي المرشد الأمر بالمعروف والناهي عن المنكر، والداعي إلى الحق والتنزيه، وقد كان عيسى عليه السلام واضح البركات، كان يخبرهم بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، وكان يبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله، ويحيي الموتى، وينادي الموتى فيخرجون من قبورهم، وأنزل الله تعالى على يديه المائدة من السماء، على أن تكون عيداً لأولهم وآخرهم، فأى بركة أعظم مما أعطيه هذا النبي الكريم؟!»<sup>(٢)</sup>.

وكما أن الأنبياء يمثلون مجالاً من مجالات البركة في القرآن، فإن أهل بيت النبوة يمثلون ذلك أيضاً في استعمال القرآن. ٤. أهل بيت نبي الله إبراهيم عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلَنَا إِبْرَاهِيمَ بِالبُشْرَى قَالُوا سَلَمًا قَالَ سَلِّمٌ فَمَا لَبِثَ أَنْ جَاءَهُ بِعِجْلٍ حَمِيذٍ ﴿٦١﴾ فَلَمَّارَهُ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَيْكَ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٦٢﴾ وَأَمْرَانَهُ قَابِئَةً فَضَجَّكَتْ فَنَشَرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِهِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٦٣﴾ قَالَتْ يَنْتَوِيحُنَّ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٦٤﴾ قَالُوا أَنْعَجِينَ مِنَ

أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ [هود: ٦٩-٧٣].

الآيات الكريمة تتحدث عن مجيء الملائكة إبراهيم عليه السلام لتبشيره هو وزوجته بالذرية، وإخبارهما بالرحمة والبركة الكائنة في بيت النبوة، يقول ابن كثير مبيّناً هدايات هذه الآيات: «يذكر تعالى أنه وهب لإبراهيم إسحاق بعد أن طعن في السن، وأيس هو وامرأته سارة من الولد، فجاءته الملائكة وهم ذاهبون إلى قوم لوط، فبشروهما بإسحاق، فتعجبت المرأة من ذلك، وقالت: ﴿قَالَتْ يَنْتَوِيحُنَّ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٦٣﴾ قَالُوا أَنْعَجِينَ مِنَ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿٧٣﴾ [هود: ٧٢-٧٣].

فبشروهما مع وجوده بنبوته، وبأن له نسلاً وعقباً، كما قال تعالى: ﴿وَنَشَرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [الصافات: ١١٢].

وهذا أكمل في البشارة، وأعظم في النعمة، وقال: ﴿فَنَشَرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِهِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ [هود: ٧١].

أي: ويولد لهذا المولود ولدٌ في حياتكما، فتقر أعينكما به، كما قررت بوالده، فإن الفرح بولد الولد شديد لبقاء النسل والعقب، ولما كان ولد الشيخ والشيخة قد يتوهم أنه لا يعقب لضعفه، وقعت البشارة

(١) التحرير والتنوير ٩٩/١٦.

(٢) زهرة التفاسير ٩٤٦٣٤.

أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ ﴿١﴾ [هود: ٧٣].

أي: هو الحميد في جميع أفعاله وأقواله، محمودٌ ممجّدٌ في صفاته وذاته؛ ولهذا ثبت في الصحيحين أنهم قالوا: قد علمنا السلام عليك فكيف الصلاة عليك يا رسول الله؟ (قال: قولوا: اللهم صل على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، كما صليت على إبراهيم وآل إبراهيم، وبارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم إنك حميدٌ مجيدٌ) (١).

﴿وَحَمِيدٌ﴾ وصف لذات الله بمعنى أنه المحمود الذي يدوم حمده وإنعامه، ويحمد لهذا الإنعام، و﴿مَجِيدٌ﴾ على وزن فعيل من ماجد؛ لأنه العالي في ذاته وصفاته ومجده سبحانه وتعالى (٢).

وفي تفصيل معنى العجب ومدى حمل الرحمة والبركة في الآية الكريمة على الخبر أو الدعاء.

يقول العلماء: وقوله سبحانه: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ كلام مستأنف علل به إنكار التعجب، كأنه قيل: إياك والتعجب، فإن خوارق العادات باعتبار أهل بيت النبوة مهبط المعجزات، وتخصيصهم

به وبولده باسم يعقوب الذي فيه اشتقاق العقب والذرية، وكان هذا مجازاةً لإبراهيم عليه السلام حين اعتزل قومه وتركهم ونزح عنهم، وهاجر من بلادهم ذاهباً إلى عبادة الله في الأرض، فعوضه الله عز وجل عن قومه وعشيرته بأولادٍ صالحين من صلبه على دينه؛ لتقر بهم عينه، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَعْتَرَهُمْ وَمَا يَعْتَدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا﴾ [مريم: ٤٩].

وقال: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا﴾ [الأنعام: ٨٤].

وقوله: ﴿وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ﴾ [الأنعام: ٨٤].

أي: من قبله هديناه كما هديناه، ووهبنا له ذريةً سالحةً، وكلٌ منهما له خصوصيةٌ عظيمةٌ، أما نوحٌ عليه السلام، فإن الله تعالى لما أغرق أهل الأرض إلا من آمن به، وهم الذين صحبوه في السفينة، جعل الله ذريته هم الباقين، فالناس كلهم من ذريته، وأما الخليل إبراهيم عليه السلام، فلم يبعث الله عز وجل بعده نبياً إلا من ذريته.

كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [العنكبوت: ٢٧]. الآية.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ﴾ [الحديد: ٢٦].

وقال تعالى: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكْنَاهُ عَلَيكُمْ﴾

(١) تفسير القرآن العظيم ٢/٢٦٦.

والحديث أخرجه البخاري في الدعوات، باب الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم، رقم ٣٦٥٨، ٧٧/٨.

(٢) زهرة التفاسير ٧/٣٧٣٢.

ثالثاً: الأزمنة المباركة:

وكما طوفنا بالبركة من خلال مجال المصطفين الأخيار وآلهم، فإننا نستطيع بيان أن من مجالات البركة الأزمنة ومن ذلك: الليلة المباركة:

حوى القرآن الكريم من خلال استعمالاته أزمنة وصفها بالبركة، من ذلك ما يتعلق بليلة نزول القرآن، حيث قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبْرَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ (٢) ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ (١) ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ (٥) ﴿رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الدخان: ٣-٦].

هذه الليلة هي ليلة القدر من شهر رمضان؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١].

ولمطابقة قوله: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤].

لقوله: ﴿نَزَّلَ الْمَلَكُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ﴾ [القدر: ٤].

وقوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وليلة القدر في أصح الأقاويل في شهر رمضان، والمباركة: الكثيرة الخير لما يتيح الله فيها من الأمور التي تتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم، ولولم يوجد فيها

بمزيد النعم والكرامات ليس ببدع ولا حقيق بأن يستغربه عاقل فضلاً عما نشأت وشابت في ملاحظة الآيات، قيل: الرحمة النبوة، والبركات أن جميع الأنبياء والمرسلين كانوا في ولد إبراهيم (١).

وعبارة ﴿رَحِمَتْ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ﴾ حملها بعض العلماء على الدعاء، وبعضهم على الخبر، أما أهل البيت المعنيين بالبركة يتضمنون الزوجة، قال ابن عطية: «يحمل اللفظ أن يكون دعاء، وأن يكون إخباراً، وكونه إخباراً أشرف؛ لأن ذلك يقتضي حصول الرحمة والبركة لهم، وكونه دعاء إنما يقتضي أنه أمر يترجى ولم يتحصل بعد، وهذه الآية تعطي أن زوجة الرجل من أهل بيته؛ لأنها خوطبت بهذا، فيقوى القول في زوجات النبي عليه السلام بأنهن من أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس، بخلاف ما تذهب إليه الشيعة، وقد قاله أيضاً بعض أهل العلم، قالوا: أهل بيته الذين حرموا الصدقة، والأول أقوى، وهو ظاهر جلي من سورة الأحزاب؛ لأنه ناداهن بقوله: ﴿يَلَيْسَ النَّبِيُّ﴾ [الأحزاب: ٣٢]. ثم بقوله: ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ [الأحزاب: ٣٣] (٢).

(١) انظر: الكشاف، الزمخشري ٤١٢/٢، البحر المحيط، أبو حيان ١٨٤/٦، أنوار التنزيل، البيضاوي ١٤٢/٣.

(٢) انظر: المحرر الوجيز، ابن عطية ١٩٠/٣، الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٢٧٠/٩.

﴿إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾ يعني الحكمة في إنزال هذه السورة أن إنذار الخلق لا يتم إلا به. وأما بيان أن هذه الليلة ليلة مباركة فهو أمران:

أحدهما: أنه تعالى يفرق فيها كل أمر حكيم.

والثاني: أن ذلك الأمر الحكيم مخصوصاً بشرف أنه إنما يظهر من عنده، وإليه الإشارة بقوله: ﴿أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا﴾<sup>(٢)</sup>.

وقد أخرج الطبري رواية ابن عباس رضي الله عنهما التي من خلالها جمع بركة نزول القرآن في أوقات تفيض بركة: «عن ابن عباس قال له رجل: إنه قد وقع في قلبي الشك من قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾، وقوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ وقد أنزل الله في شوال وذو القعدة وغيره! قال: إنما أنزل في رمضان في ليلة القدر وليلة مباركة جملة واحدة، ثم أنزل على مواقع النجوم رسلاً في الشهور والأيام»<sup>(٣)</sup>.

وقد عدد أبو السعود أنواعاً من بركات ليلة نزول القرآن، فقال: «لما أن نزول القرآن مستتبٌ للمنافع الدينية والدينية بأجمعها، أو لما فيها من تنزل الملائكة،

(٢) مفاتيح الغيب ٢٧/٢٥٤.

(٣) جامع البيان ٣/٤٤٨.

إلا إنزال القرآن وحده لكفى به بركة<sup>(١)</sup>.

وقد أفاض العلامة الفخر في بيان نظم هذه الآيات فقال: «اعلم أن المقصود منها تعظيم القرآن من ثلاثة أوجه، أحدها: بيان تعظيم القرآن بحسب ذاته، الثاني: بيان تعظيمه بسبب شرف الوقت الذي نزل فيه، الثالث: بيان تعظيمه بحسب شرف منزلته.

أما بيان تعظيمه بحسب ذاته فمن ثلاثة أوجه، أحدها: أنه تعالى أقسم به وذلك يدل على شرفه، وثانيها: أنه تعالى أقسم به على كونه نازلاً في ليلة مباركة، وقد ذكرنا أن القسم بالشيء على حالة من أحوال نفسه يدل على كونه في غاية الشرف، وثالثها: أنه تعالى وصفه بكونه مبيناً وذلك يدل أيضاً على شرفه في ذاته، وأما النوع الثاني: وهو بيان شرفه لأجل شرف الوقت الذي أنزل فيه فهو قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ وهذا تنبيه على أن نزوله في ليلة مباركة يقتضي شرفه وجلالته، ثم نقول: إن قوله: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ﴾ يقتضي أمرين:

أحدها: أنه تعالى أنزله.

والثاني: كون تلك الليلة (مباركة).

فذكر تعالى عقيب هذه الكلمة ما يجري مجرى البيان لكل واحد منهما.

أما بيان أنه تعالى لم أنزله، فهو قوله:

(١) الكشاف، الزمخشري ٤/٢٦٩.

والرحمة، وإجابة الدعوة، وقسم النعمة، وفصل الأفضية، وفضيلة العبادة، وإعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>.

كما أن المقصود من تشریف الليلة التي كان ابتداء إنزال القرآن فيها تشریف آخر للقرآن بتشریف زمان ظهوره، تنبيها على أنه تعالى اختار لا ابتداء إنزاله وقتا شريفا مباركا؛ لأن عظم قدر الفعل يقتضي أن يختار لإيقاعه فضل الأوقات والأمكنة، فاختيار فضل الأوقات لا ابتداء إنزاله ينبئ عن علو قدره عند الله تعالى، كقوله: ﴿لَا يَمْسُهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٩] <sup>(٢)</sup>.

وهكذا تجلى ربنا على أمة الإسلام ببركة الكتاب العزيز الذي من تمسك به نال بركتي الدنيا والآخرة، ومن التمسك به تكريمه بالعمل به، والاحتكام إليه لأنه كلام الله، الذي شرفه سبحانه ذاتا ومكانا وزمانا.

#### رابعاً: الأمكنة المباركة:

##### ١. بركة مجمل الأرض.

وصف القرآن الكريم بعض الأماكن بالبركة؛ حتى يلفت أنظارنا إليها؛ كي نعني بها، ونقبل عليها، ونتأدب فيها، ونخصها بما يجب أن تخصص به، وقد بين لنا ربنا

(١) إرشاد العقل السليم ٨/ ٥٨.

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٣٠/ ٤٥٧.

سبحانه أنه بارك في مجمل الأرض من خلال قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَتَعَلَّوْنَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾<sup>(١)</sup> وَجَعَلَ فِيهَا رُؤُوسَ مِن فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِئَيْسَابِهَا ﴿فصلت: ٩-١٠﴾.

وقد فسر العلماء البركة في مجمل الأرض بتفسيرات كثيرة، منها:

شق البحار والأنهار، وإنبات الشجر، والثمار، وإكثار الخير وإنماؤه، وخلق أصناف الحيوانات، وجعل الأرض طهوراً، وخلق الجبال، وكل ما يحتاج إليه من الخيرات والأرزاق <sup>(٢)</sup>.

يقول الرازي: «ولوجوه منها: أنه تعالى وصف بقاعاً من الأرض بالبركة بقوله: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا﴾ [آل عمران: ٩٦].

ومنها: ﴿فِي الْبَقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفصص: ٣٠].

ومنها: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا لَهُ حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

ومنها: وصف أرض الشام بالبركة، فقال: ﴿مَشْرِقِ الْأَرْضِ وَمَغْرِبِهَا الَّتِي

(٣) انظر: جامع البيان، الطبري ١/ ٤٣٥، تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم ١/ ٧٤، الكشاف، الزمخشري ٤/ ١٨٨، أنوار التنزيل، البيضاوي ٥/ ٦٧، البحر المحيط، أبو حيان ٩/ ٢٨٧.

﴿بَرَكَتًا فِيهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧].

يحيط به الشرح والبيان»<sup>(١)</sup>.

وقد أرجع الشيخ الشعراوي الضمير في الآية الكريمة: ﴿وَبَرَكَتًا فِيهَا﴾ إلى الجبال خصوصًا معلاً ذلك بكون الضمير جاء بعد ذكر الجبال ﴿وَحَمَلَهَا رُوسَىٰ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَتًا فِيهَا﴾.

وخامسها: وصف جملة الأرض بالبركة، فقال: ﴿قُلْ أَيْتَكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُمْ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ وَحَمَلَهَا فِيهَا رُوسَىٰ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَتًا فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَمْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ﴾ [فصلت: ٩-١٠].

وهو رأي له وجاهته من ناحية، ومن ناحية أخرى لم يخرج في وصف البركة عن نطاق الأرض؛ إذ أنه سبحانه يضع نفعه فيما يشاء من مخلوقاته.

فإن قيل: وأي بركة في الفلوات الخالية والمفاوز المهلكة؟ قلنا: إنها مساكن للوحوش ومرعاهما، ثم إنها مساكن للناس إذا احتاجوا إليها، فلهذه البركات قال تعالى: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ [الذاريات: ٢٠].

يقول رحمه الله تعالى: ﴿﴿وَبَرَكَتًا فِيهَا﴾﴾ جاءت بعد ذكر الجبال الرواسي، ثم قال: ﴿﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَمْوَاتَهَا﴾﴾ [فصلت: ١٠].

وهذه الآيات وإن كانت حاصلة لغير الموقنين لكن لما لم ينتفع بها إلا الموقنون جعلها آيات للموقنين تشريفاً لهم، كما قال: ﴿هُدًى لِّلْقَائِمِينَ﴾ [البقرة: ٢].

كأن الجبال هي مخازن القوت، وخزائن رحمة الله لأهل الأرض، والقوت: وهو الذي يتم به استبقاء الحياة، وهذا ناشئ من مزروعات الأرض، وهذه من تصديقات القرآن لطموحات العلم وأسبقيه إخباره بما سيحدث، فها هو القرآن يخبر بما اهتدى إليه العلم الحديث من أن العناصر التي تكون

ومن ذلك: أنه سبحانه وتعالى خلق الأنبياء المكرمين من الأرض على ما قال: ﴿مِنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَمِنَّا نُعِيدُهُمْ﴾ [طه: ٥٥].

ولم يخلق من السموات شيئاً؛ لأنه قال: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾ [الأنبياء: ٣٢].

(١) مفاتيح الغيب ٣٣٩/٢ وإن كان في نهاية الدرس قال: «ولا شك أن إكثار ذكر الله تعالى من ذكر السموات والأرض يدل على عظم شأنهما، وعلى أن له سبحانه وتعالى، فيهما أسراراً عظيمة، وحكماً بالغة، لا يصل إليها أفهام الخلق ولا عقولهم». وهذا يقيناً. وانظر: اللباب في علوم الكتاب، ابن عادل الحنبلي ٤١٨/١، غرائب القرآن، النيسابوري ١٨٦/١.

ومن ذلك: أن الله تعالى أكرم نبيه بها فجعل الأرض كلها مساجد له، وجعل ترابها طهوراً، ثم قال: والبركة كثرة الخير والخيرات الحاصلة من الأرض أكثر مما

إذن: فقلوه تعالى عن بداية خلق الأرض: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: ١٠].

كأنه يعطينا تسلسلاً لخلق القوت في الأرض، وأن خزائن الله لا حدود لها ولا نفاذ لخيراتهما، فالضمير في ﴿وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت: ١٠].

إنما على الجبال؛ لأن الجبال في الحقيقة هي مخازن القوت، ومصدر الخصب للأرض التي هي مصدر القوت، فالإنسان مخلوق من الأرض، واستبقاء حياته من الأرض، فالنبات قوت للإنسان وللحيوان، والنبات والحيوان قوت للإنسان.

إذن: لا بد للأرض من خصوبة تساعدنا وتمدها بعناصر الغذاء، ولو أن الخالق عز وجل جعل الأرض هكذا طبقة واحدة بها المخصبات لانتهت هذه الطبقة بعد عدة سنوات، ولأجذبت الأرض بعد ذلك<sup>(١)</sup>.

هكذا بين العلماء طرفاً مما هداهم الله إليه من بركات مجمل الأرض، كما ذكر القرآن الكريم، وما على المسلم إلا أن يغتتم هذه البركة بالطاعة، وترك المعصية أو الإفساد في الأرض؛ ليستزيد من بركات الله في أرضه سبحانه .

٢. المسجد الحرام.

من الأمكنة التي باركها الله في القرآن

(١) انظر: تفسير الشعراوي ٦/ ٣٦٣٦.

الإنسان هي نفس عناصر التربة الزراعية التي نأكل منها.

لكن كيف تكون الجبال مخازن القوت الذي جعله الله في الأرض قبل أن يخلق الإنسان؟

نقول: إن الجبال هي أساس التربة التي نزرعها، فالجبل هذه الكتلة الصخرية التي تراها أمامك جامدة هي في الحقيقة ليست كذلك؛ لأن عوامل التعرية وتقلبات الجو من شمس وحرارة وبرودة، كل هذه عوامل تفتت الصخر، وتحدث به شروخاً وتشققات، ثم يأتي المطر فيحمل هذا الفتات إلى الوادي، ولو تأملت شكل الجبل وشكل الوادي لوجدتهما عبارة عن مثلثين كل منهما عكس الآخر، فالجبل مثلث رأسه إلى أعلى، وقاعدته إلى أسفل، والوادي مثلث رأسه إلى أسفل وقاعدته إلى أعلى.

وهكذا فكل ما ينقص من الجبل يزيد في الوادي، ويكون التربة الصالحة للزراعة، وهو ما يسمى بالغريرين أو الطمي؛ لذلك حدثونا أن مدينة دمياط - بمصر - قديماً كانت على شاطئ البحر الأبيض، ولكن بمرور الزمن تكونت مساحات واسعة من هذا الغرين أو الطمي الذي حملة النيل من إفريقية ففصل دمياط عن البحر، والآن وبعد بناء السد وعدم تكون الطمي بدأت المياه تنحدر في الشاطئ، وتنقص فيه من جديد،

الله صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو هريرة رضي الله عنه: (الحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة) (٣).

ومعلومٌ أنه لا أكثر بركة مما يجلب المغفرة والرحمة.

وثانيها: قال القفال رحمه الله تعالى: ويجوز أن يكون بركته ما ذكر في قوله تعالى: ﴿يَجْعَلُ إِلَيْهِ نَمْرَتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الفصل: ٥٧].

فيكون كقوله: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

وثالثها: أن العاقل يجب أن يستحضر في ذهنه أن الكعبة كالنقطة؛ وليتصور أن صفوف المتوجهين إليها في الصلوات كالدوائر المحيطة بالمركز، وليتأمل كم عدد الصفوف المحيطة بهذه الدائرة حال اشتغالهم بالصلاة.

وأما إن فسرنا البركة بالدوام فهو أيضًا كذلك؛ لأنه لا تنفك الكعبة من الطائفين والعاكفين والركع السجود، وأيضًا الأرض كرة، وإذا كان كذلك فكل وقتٍ يمكن أن يفرض فهو صبحٌ لقومٍ، وظهرٌ لثانٍ، وعصرٌ لثالثٍ، ومغربٌ لرابعٍ، وعشاءٌ لخامسٍ، ومتى كان الأمر كذلك لم تكن الكعبة منفكةً قط عن توجه قومٍ إليها من طرفٍ من أطراف العالم لأداء فرض الصلاة، فكان الدوام

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ٣/٩٨٣، رقم ٤٣٧.

الكريم المسجد الحرام بمكة المكرمة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مِّمَّا مَقَّامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٦-٩٧].

في هاتين الآيتين الكريمتين خص الله تعالى المسجد الحرام بسبع خصالٍ ليست لغيره من المساجد، هي أنه: أول بيتٍ وضع للناس، ومباركٌ، وهدى للعالمين، وفيه آيات بيّناتٌ، ومقام إبراهيم، ومن دخله كان آمناً، والحج والعمرة إليه، وآياتٌ آخر (١). وهدفنا الأصيل هو التوجه نحو صفة البركة في الآية الكريمة، وبركة هذا البيت من وجوه:

أحدها: أن الطاعات إذا أتى بها في هذا البيت ازداد ثوابها؛ بدليل حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (صلاةٌ في مسجدي هذا خيرٌ من ألف صلاةٍ فيما سواه، إلا المسجد الحرام) (٢) فهذا في الصلاة، وأما الحج فقد قال رسول

(١) أضواء البيان، الشنقيطي ٨/٣٢١.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ٢/٦٠، رقم ١١٩٠، ومسلم في كتاب الحج، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة رقم: ٥٠٥.

هذه هي البركة المادية، أما البركة المعنوية فهي أنه موضع لأكبر عبادة جامعة وهي الحج، وهو مبعث محمد صلى الله عليه وسلم وفيه منازل وحيه، وإليه يتجه الناس في كل بقاع الأرض، وتلتقي عنده قلوب الأجناس والألوان المختلفة في عباداتهم؛ ولذا وصفه سبحانه بقوله: ﴿وَهْدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

هذا عطف على قوله سبحانه: ﴿مَبَارَكًا﴾ أي: أن الله سبحانه وتعالى جمع لهذا البيت الكريم حالتين خاصيتين به لم تجتمعا في بيت غيره، فهو قد اشتمل على البركة المادية والمعنوية، وحماه الله تعالى من اعتداء المعتدين؛ ولهذا قال: ﴿وَهْدَىٰ لِلْعَالَمِينَ﴾ أي: هو بذاته مصدر هداية للعالمين، أي: للناس أجمعين؛ ففي وسط الشرك كانوا يلتحمون ويتقاتلون حوله، فإذا جاءوا إليه كان الرجل يلقي قاتل أخيه أو أبيه فلا يمسه بسوء لعظم حرمة البيت في قلبه، وإن مس الشرك نفسه» (٢).

وقال الفراء: «إنما قيل: (مباركًا) لأنه مغفرة للذنوب» (٣).

وقيل: بركته أن من دخله أمن حتى الوحش، فيجتمع فيه المتضادات دون أن يغير أحدها على الآخر (٤).

(٢) زهرة التفاسير ٣/ ١٣٢١.

(٣) معاني القرآن ١/ ٢٢٧.

(٤) انظر: البحر المحيط، أبو حيان ٣/ ٢٦٢.

حاصلًا من هذه الجهة، وأيضًا بقاء الكعبة على هذه الحالة ألوفاً من السنين دوامًا أيضًا، فثبت كونه مباركًا من الوجهين (١).

يقول الشيخ أبو زهرة متحدثًا عن بركة البيت العتيق: «ووصفه سبحانه وتعالى بأنه مبارك؛ أي: فائض الخيرات كثير الثمرات المادية والمعنوية؛ فمن بركاته المادية أنه يمد إليه الحجيج من كل فج عميق؛ ويعتَمرون فيه في كل أيام أشهر السنة، حتى أنه لا يمر عليه يوم من غير وفود تجيء إليه، ومع هذه الوفود خيرات الأرض.

وكان ذلك إجابة لدعاء إبراهيم في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ عَرِيذٍ ذِي ذَنْبٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾ [إبراهيم: ٣٧].

وقد كان في البيت تلك البركة المادية بتلك الوفود؛ وبالثمرات التي كانت في باطن الأرض حوله أو على مقربة منه فقد كشفت على مقربة منه فلزات الأرض وسيول الغاز، مما كان خيرًا وبركة على سدنته، ومن يعيشون حوله، وبذلك أجاب الله تعالى دعاء إبراهيم عليه السلام، وبقي على الذين يتمتعون بهذه الثمرات أن يشكروا الله عز وجل.

(١) مفاتيح الغيب، الرازي ٨/ ٣٠١.

إليه عابد يرجع بعبادة لا عد لها ولا حصر لها - كل ذلك بتوفيق الله - يكفي أن الركعة فيه بمائة ألف ركعة فيما سواه، والصلاة فيه بمائة ألف صلاة، وأي بركة أعظم من هذا، فعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (صلاة في مسجدتي أفضل من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه)<sup>(٣)</sup>.

ويذكر من فضائل هذا البيت أن من دخله كان آمناً، فهو مثابة الأمن لكل خائف، وليس هذا لمكان آخر في الأرض، وقد بقي هكذا منذ بناه إبراهيم وإسماعيل، وحتى في جاهلية العرب، وفي الفترة التي انحرفوا فيها عن دين إبراهيم، وعن التوحيد الخالص الذي يمثله هذا الدين، حتى في هذه الفترة بقيت حرمة هذا البيت سارية، حتى كان الرجل يقتل ويدخل الحرم، فيلقاه ابن المقتول فلا يهيجه حتى يخرج، وكان هذا من تكريم الله سبحانه لبيته هذا، حتى والناس من حوله في جاهلية!

وقال سبحانه يمتن على العرب به:

﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا مَّأْمُومًا وَبُخَّطَفُ

(٣) أخرجه ابن ماجه في كتاب إقامة الصلاة، والسنن فيها، باب فضل ما جاء في الصلاة في المسجد الحرام ١/٤٥١، رقم ١٤٠٦. وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه ٣/٤٠٦، وفي صحيح الجامع ٢/٤١٧.

ومن بركته - فوق ما تقدم-: «أن قدر الله أن يكون داخله مثاباً ومحصلاً على خير يبلغه على مبلغ نيته، وقدر لمجاوريه وسكان بلده أن يكونوا ببركة زيادة الثواب ورفاهية الحال، ومن بركة ذاته أن حجارته وضعتها عند بنائه يد إبراهيم ويد إسماعيل، ثم يد محمد صلى الله عليه وسلم، ولا سيما الحجر الأسود»<sup>(١)</sup>.

ومن بركته أنه فاق بيوت العالم بركة: «ليس في بيوت العالم أبرك منه ولا أكثر خيراً ولا أدوم ولا أنفع للخلائق»<sup>(٢)</sup>.

ولكي نعرف الفرق بينه وبين المسجد الأقصى فإنه عندما تحدث الله عن المسجد الأقصى جعل البركة حوله؛ لقوله تعالى:

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

وعندما تحدث عن البيت الحرام قال:

﴿مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٩٦].

هو في ذاته مبارك، وهو في ذاته هدى للعالمين؛ لأنه لا يذهب إليه إنسان إلا وتحيطه بركة الحنان المنان عز وجل، فلو ذهب إليه تائب يتوب الله عليه، ولو أتاه سائل يجيب الله له كل المسائل، ولو ذهب إليه راج يحقق الله له كل رجائه، ولو ذهب

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٤/١١.

(٢) تيسير الكريم الرحمن، السعدي ص ١٣٨.

النَّاسِ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفِيًا لَبِطِلٍ يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمَ  
اللَّهُ يَكْفُرُونَ ﴿٦٧﴾ [العنكبوت: ٦٧].

وحتى أنه من جملة تحريم الكعبة حرمة اصطیاد صيدها، وتغييره عن أوكاره، وحرمة قطع شجرها.

وفي الصحيحين - واللفظ لمسلم - عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم الفتح: (إن هذا البلد حرمة الله يوم خلق السماوات والأرض، فهو حراماً بحرمة الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحل القتال فيه لأحد قبلي، ولم يحل لي إلا ساعة من نهار، فهو حراماً بحرمة الله إلى يوم القيامة، لا يعضد شوكة، ولا ينفر صيده، ولا يلتقط إلا من عرفها، ولا يختلى خلاها) (١).

فهذا هو البيت الذي اختاره الله للمسلمين قبله هو بيت الله الذي جعل له هذه الكرامة (٢).

وبما أن للبيت هذه الكرامة وذلك التكریم وتلك البركة فإنه من الواجب على المسلمين تعظيمه وتكریمه ومتابعة زيارته لينالوا بركته من خلال الصلاة فيه كذا

(١) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب فضل الحرم ١٤٧/٢، رقم ١٥٨٧، ومسلم في كتاب الحج، باب تحريم مكة وصيدها وخلاها، ٩٨٦/٢، رقم ٤٤٥.

(٢) ما تقدم من وقائع تاريخية ذكره موقع الشيخ فوزي أبو زيد: [www.fawzyabuzeit.com](http://www.fawzyabuzeit.com)

الطواف والسعي.

٣. المسجد الأقصى.

من مجالات البركة المتصلة بالأماكن في القرآن الكريم المسجد الأقصى، قال - تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١].

خص المسجد الأقصى بكون مسرى رسول الله صلى الله عليه وسلم إليه، وبالبركة حوله، وفيما يخص البركة التي حوله، يقول الشنقيطي: «أظهر التفسيرات فيه أن معنى ﴿بَنَيْنَا حَوْلَهُ﴾: أكثرنا حوله الخير والبركة بالأشجار والثمار والأنهار، وقد وردت آيات تدل على هذا، كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ وُطْأً إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَنَيْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

وقوله تعالى: ﴿وَلَسَلِّمْنَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَنَيْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

فإن المراد بتلك الأرض الشام، والمراد بأنه بارك فيها أنه أكثر فيها البركة والخير بالخصب والأشجار والثمار والمياه، كما عليه جمهور العلماء.

وقال بعض العلماء: المراد بأنه بارك فيها أنه بعث الأنبياء منها، وقيل غير ذلك،

بالموصولية لقصد تشهير الموصوف  
بمضمون الصلة حتى كأن الموصوف  
مشتهرٌ بالصلة عند السامعين...

وصيغة المفاعلة هنا للمبالغة في تكثير  
الفعل، مثل عافاك الله، والبركة: نماء الخير  
والفضل في الدنيا والآخرة بوفرة الثواب  
للمصلين فيه وبإجابة دعاء الداعين فيه...  
ووجه الاقتصار على وصف المسجد  
الأقصى في هذه الآية بذكر هذا التبريك هو  
تناسي الناس هذا المسجد المبارك، فالعرب  
لا علم لهم به، والنصارى عفاوا أثره من  
كراهيتهم لليهود، واليهود قد ابتعدوا عنه،  
وأسوا من عوده إليهم، فاحتجج إلى الإعلام  
ببركته.

و(حول) يدل على مكان قريب من مكان  
اسم ما أضيف (حول) إليه، وكون البركة  
حوله كناية عن حصول البركة فيه بالأولى؛  
لأنها إذا حصلت حوله فقد تجاوزت ما فيه،  
ففيه لطيفة التلازم، ولطيفة فحوى الخطاب،  
ولطيفة المبالغة بالتكثير (٦).

هذا وقد ثبت في السنة أن الصلاة في  
المسجد الأقصى بخمسمائة صلاة فيما  
سواه، وهذا وغيره مما ذكر يجدد نظرنا إليه،  
ويحفزنا نحو تحريره، فاللهم حرره من أيدي  
اليهود، وبارك في أعمارنا حتى نصلي فيه.

#### ٤. بلاد الشام.

(٦) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٩/١٥.

والعلم عند الله تعالى» (١).

وقال مجاهد: سماه مباركًا لأنه مقر  
الأنبياء، ومهبط الملائكة والوحي، ومنه  
يحشر الناس يوم القيامة (٢).

ومن أسباب بركة المسجد الأقصى أيضًا  
ما لحقه من البركة بمن صلى به من الأنبياء  
من داود وسليمان ومن بعدهما من أنبياء  
بني إسرائيل، ثم بحلول الرسول عيسى عليه  
السلام وإعلانه الدعوة إلى الله فيه وفيما  
حوله، ومنها بركة من دفن حوله من الأنبياء.  
فقد ثبت أن قبري داود وسليمان حول  
المسجد الأقصى، وأعظم تلك البركات  
حلول النبي صلى الله عليه وسلم فيه ذلك  
الحلول الخارق للعادة، وصلاته فيه بالأنبياء  
كلهم (٣).

كما أنه معدن الفواكه والأرزاق  
والبركات، وبارك تعالى حوله لأجله فما  
ظنك به نفسه فهو أبلغ من باركتنا فيه (٤).

وخلاصة القول في ذلك أن البركة حوله  
حازت بركتي الدين والدنيا (٥).

وقوله: ﴿اللَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ﴾ صفةٌ  
للمسجد الأقصى، وجيء في الصفة

(١) انظر: أضواء البيان، الشنقيطي ١٠/٣.

(٢) معالم التنزيل، البغوي ٥٨/٥.

(٣) انظر: التحرير والتنوير ١٩/١٥.

(٤) انظر: السراج المنير، الشربيني ٢٧٤/٢.

(٥) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود  
١٥٥/٥.

سوء العذاب، وتمت كلمة ربك -أيها النبي- الحسنى على بني إسرائيل بتمكينهم من أرض الشام؛ بصيرهم على أذى فرعون وقومه، ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه من المباني والقصور والعمارات والدور، وما كانوا يقيمون من العرائش والسقف في الجنات والبساتين.

ومحور حديثنا في الآية الكريمة هو البركة في الأرض المذكورة في الآية الكريمة:

فمن قائل: الأرض المذكورة في الآية أرض مصر والشام، وقيل: أراد بها الشام وحده، وقيل: أراد به الأردن وفلسطين، لكن جل العلماء على أن الأرض المباركة في القرآن هي أرض الشام.

قوله: ﴿بَرَكَاتًا فِيهَا﴾ أي: بالنعم بكثرة مياهاها، كما بارك الله فيها بوجود الأشجار والشمار والخصب والسعة؛ حتى يعيش فيها الفقير والغني يعيش طيب، وأن أكثر الأنبياء بعثوا فيها فانتشرت في العالمين شرائعهم التي هي مبادي الكمالات والخيرات الدينية والدنيوية، وقيل: الشام كنز الله في أرضه، وبها كنزه من عباده (٢).

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاهُ لَوْلَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكَاتًا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ٧١].

(٢) تفسير القرآن، السمعاني ٢/ ٢٠٩.

من مجالات البركة المتصلة بالأماكن في القرآن الكريم بلاد الشام (١).

قال تعالى: ﴿وَأَوْزَنَّا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضَعِفُونَ مَسْكِرٍ الْأَرْضِ وَمَغْرِبِهَا الَّتِي بَرَكَاتًا فِيهَا وَنَمَّتْ لَكُمْ رَبِّكَ الْحَسَنَى عَلَى بَيْتِ إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانَتْ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

هذه الآية الكريمة تتحدث عن توريث الله بني إسرائيل مشارق الأرض ومغاربها، وهم الذين كانوا يستذلون للخدمة، ويستضعفون بقتل أبنائهم، واستحياء نساءهم، وإساعتهم

(١) الشام: منطقة ممتدة على الساحل الشرقي للبحر المتوسط، وتمتد شرقاً إلى نهر الفرات، وتمتد شمالاً من بلاد الروم تركيا حالياً إلى حدود مصر وجزيرة العرب جنوباً، وتشتمل في الوقت الحاضر على سورية ولبنان وفلسطين والأردن وجزءاً من العراق، وفي معجم البلدان لياقوت الحموي: حدها فمن الفرات إلى العريش المتاخم للديار المصرية، وأما عرضها فمن جبلي طيء من نحو القبلة إلى بحر الروم وما بشأمة ذلك من البلاد، وبها من أمهات المدن منبج وحلب وحماة وحمص ودمشق والبيت المقدس والمعرة، وفي الساحل أنطاكية وطرابلس وعكا وصور وعسقلان وغير ذلك ٣/ ٣١٢. ويقال للشام: عماد دار الهجرة، وما نقص من الأرض زيد في الشام، وما نقص من الشام زيد في فلسطين، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وبها مجمع الناس، وبها ينزل عيسى ابن مريم، وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذاب الدجال. انظر: الطبري ١٨/ ٤٦٩، وتفسير القرآن العظيم ٥/ ٣٥٣.

فمما ميز الله به نبيه سليمان عليه السلام الريح القوية الشديدة ﴿تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَنَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١].  
وكانها مواصلات داخلية في مملكته من العراق إلى فلسطين.

وفي موضع آخر قال: ﴿قَالَ رَبِّ آفِزْ لِي وَهَبْ لِي مَلَكًا لَا يَبْغِي لِأَخِي مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [٣٥] ﴿سَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُحَاءَ حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٥-٣٦].

ومعنى: ﴿بَنَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١]. أي: في أرض الشام.

وفي شأن نعمة من نعم الله على المسافرين من مأرب إلى الشام يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي بَنَرَكْنَا فِيهَا قَرْيَ ظَلْمَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّبِيلَ سَبِيلًا مَبِينًا﴾ [سبأ: ١٨].

هذه الآية وما بعدها وصف حال أهل سبأ قبل مجيء السيل؛ وذلك أن الله تعالى مع ما كان منحهم من الجنتين والنعمة الخاصة بهم، كان قد أصلح لهم البلاد المتصلة بهم وعمرها وجعلهم أربابها، وقدر فيها السبيل بأن قرب القرى بعضها من بعض حتى كان المسافر من مأرب إلى الشام يبيت في قرية، ويقبل في قرية أخرى، فلا يحتاج إلى حمل زاد، والقرى: المدن، ويقال: للمجتمع الصغير قرية أيضًا، وكلها من قرية أي: جمعت، والقرى التي بورك فيها هي بلاد

راجع رأي العلماء أن الأرض المباركة هنا وفي كل نظير من القرآن هي أرض الشام، والآية تتحدث عن هجرة الخليل ولوط عليهما السلام من العراق إلى الشام فرارًا بالدين.

عن قتادة رضي الله عنه ﴿وَجَعَلْنَا لُوطًا﴾ قال: «كانا بأرض العراق، فأنجيا إلى أرض الشام، وكان يقال: الشام عماد دار الهجرة، وما نقص من الأرض زيد في الشام، وما نقص من الشام زيد في فلسطين، وكان يقال: هي أرض المحشر والمنشر، وفيها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام، وبها يهلك الله شيخ الضلالة الدجال» (١).

قال السمعاني: «وفي الآية قول آخر هو أن المراد من الأرض التي بارك فيها هي مكة، وقيل: مصر، والأصح هو الأول؛ لأنه مشهور أنه خرج وامرأته -يعني إبراهيم- إلى حران، ثم من حران إلى الشام، وأما لوط فإنه ابن أخي إبراهيم، وكان خرج معه» (٢).

ويدخل قوله تعالى: ﴿وَلَسَلِمْنَا إِلَى السَّلِيمِ وَالرَّحْمَةِ الَّتِي بَنَرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٨١]. في عين حديثنا عن بركة بلاد الشام.

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٥٥١/٥.  
وانظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي ٣٠٥/١١، إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٧٧/٦.  
(٢) تفسير القرآن، السمعاني ٣٩٢/٣.

الشام بإجماع من المفسرين<sup>(١)</sup>.

(والقرى الظاهرة) هي التي بين الشام ومأرب وهي الصغار التي هي البوادي<sup>(٢)</sup>.

عن الحسن: «كان الرجل يغدو فيقبل في القرية، ثم يروح فيبيت في القرية الأخرى، وكانت المرأة تخرج وزنييلها على رأسها، فما تبلغ حتى يمتلئ من كل الثمار»<sup>(٣)</sup>.

ويمكننا أن نلمس من حديث القرآن عن الأرض المباركة التي هي الشام أننا يجب علينا أن ننظر إليها نظرة خاصة لننعم كمسلمين ببركاتها من ناحية، ونحافظ على محتوياتها، بل ونقف موقف المسئول مما يحدث فيها لا أن نقف، كما نحن الآن، موقف المشاهد الذي يرى التقتيل والدمار، ويتنظر من غيره من الأمم أن تلعب دور الطرف الثالث للإصلاح بين الراعي الفاسد الدموي من الرعية المسالمة التي تباد ليلاً

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم، ابن أبي حاتم ٣١٦٧/١٠.

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان ٥٣٧/٨. قيل: كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام، فلا يحملون شيئاً مما جرت به عوائد السفار، فكان سيرهم في الغدو والرواح على قدر نصف يوم، فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار، وقال قتادة: كانت المرأة تخرج ومعها مغزلها وعلى رأسها مكتلها فتتمتن بغزلها فلا تأتي بيتها حتى يمتلئ مكتلها من الثمار، فكان ما بين اليمن والشام كذلك.

انظر: السراج المنير، الشربيني ٢٩٣/٣. (٣) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٣١٦٧/١٠.

ونهاراً.

وكما ذكر القرآن الأرض المقدسة واصفاً إياها بالبركة وصف بذلك أيضاً طور سيناء.

٥. جبل الطور في سيناء.

من مجالات البركة في القرآن مما يخص الأمكنة «جبل الطور في سيناء».

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِيهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ بَدُورٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ﴿٦٦﴾ ﴿فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَتُوسَّئِلْ مِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [القصص: ٢٩-٣٠].

الآيتان تتحدثان عن نبي الله موسى عليه السلام، وما رآه أثناء سيره بأهله إلى مصر، حيث أبصر ناراً، توسم فيها نبأ ينفعهم في سيرهم، أو قبسة للاستدفاء، فلما أتاه ناداه الله من جانب الوادي الأيمن لموسى في البقعة المباركة من جانب الشجرة: أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين، قال صاحب البحر في تفسيره للآية الأولى من سورة الطور: «وإنما أقسم بهذا الجبل في قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ﴾ [الطور: ١].

لأنه مجاور للشام والأرض المقدسة، وقد بارك الله فيهما، كما قال: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَنَيْنَا لَكُمْ حَوْلَهُ﴾ [الاسراء: ١].<sup>(٤)</sup>

(٤) انظر: البحر المحيط، أبو حيان ١٠/٧.

السلام في حال دخول المسلم بيتًا مسكونًا أو غير مسكون، بيانه أنه على المسلم أن يسلم على أخيه المسلم بتحية الإسلام، وهي: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أو السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، إذا لم يوجد أحد، وهذه التحية شرعها الله، وهي تحية مباركة تنمي المودة والرحمة والإخاء؛ لأنها محبوبة للسامع، متمنة منه، ويمثل هذا البيان بين الله للناس الآيات لعلمهم يعقلونها فيعملون بمقتضاها.

يقول السمعاني: «ويقال معنى الآية: إذا دخل بيته يسلم على أهله، وهي سنة قد هجرت؛ إذ الأهل أحق بالسلام عليهم، وكان الأوزاعي إذا دخل بيته، ونسي السلام خرج ثم رجع وسلم، وأما إذا دخل بيتًا خاليًا، فيقول: السلام علينا من ربنا، وإذا دخل مسجدًا ليس فيه أحد يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وقد بينت السنة استحباب إفشاء السلام على من تعرف ومن لا تعرف، وقوله: ﴿تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ أي: حسنة جميلة، ويقال: ذكر البركة والطيب ها هنا لما فيه من الثواب، ومن أهدى سلامًا إلى إنسان فهي هدية خفيفة المحمل، طيبة الريح، مباركة العاقبة» (٣).

ومحور الحديث يدور حول البركة التي

وقد وصف الله تعالى البقعة بالمباركة؛ لأن الله كلم موسى عليه السلام هناك وبعثه نبيًا، ولكونها مبعث الأنبياء وكفاتهم أحياء وأمواتًا وخصوصًا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى، ولما خصت به من آيات الله وأنواره، ولما حوت من الأرزاق والثمار الطيبة (١).

فإن قيل: فلم لم يسم الشجرة مباركة وقد قال: ﴿مِنَ الشَّجَرَةِ﴾؟

قلنا: لأنه إذا ذكرت البركة في البقعة فقد ذكرت في الشجرة، فذكر البقعة؛ لأنها أعم، قال الزجاج والنحاس وغيرهما: كلم الله موسى من الشجرة بلا كيف، وعن الضحاك: من نحو الشجرة (٢).

### خامسًا: الأقوال المباركة:

من مجالات البركة في القرآن الكريم:  
الأقوال:

ومن الأقوال تحية الإسلام.

يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ بَيِّنَاتٌ لِّكُم مِّنَ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور: ٦١].

يرسي هذا المقطع من الآية الكريمة أدب

- (١) انظر: البحر المحيط، أبو حيان ٣٠١/٨، إرشاد العقل السليم، أبو السعود ٢٧٤/٦، السراج المنير، الشربيني ٦٧/٣.
- (٢) انظر: تفسير القرآن، السمعاني ١٣٧/٤، معالم التنزيل، البغوي ٢٠٦/٦.

(٣) تفسير القرآن، السمعاني ٥٥٣/٢.

اتصفت بها التحية.

فعن سعيد بن جبير في قول الله: ﴿تَحِيَّةٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ قال: من سلم على أخيه فهي تحية مباركة طيبة يعني حسنة<sup>(١)</sup>.

قال القرطبي: «وقد اختلف المتأولون في أي البيوت أراد في الآية الكريمة، فقال إبراهيم النخعي والحسن: أراد المساجد، والمعنى: سلموا على من فيها من ضيفكم، فإن لم يكن في المساجد أحدًا، فالسلام أن يقول المرء: السلام على رسول الله، وقيل: يقول: السلام عليكم، يريد الملائكة، ثم يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وقيل: المراد بالبيوت البيوت المسكونة، أي: فسلموا على أنفسكم...، وقالوا: يدخل في ذلك البيوت غير المسكونة، ويسلم المرء فيها على نفسه بأن يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين.

قال ابن العربي: القول بالعموم في البيوت هو الصحيح، ولا دليل على التخصيص، وأطلق القول ليدخل تحت هذا العموم كل بيت كان للغير أو لنفسه، فإذا دخل بيتًا لغيره استأذن، فإذا دخل بيتًا لنفسه سلم لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه

(١) تفسير القرآن العظيم ابن أبي حاتم ٨/٢٦٥٢.

وسلم: (يا بني إذا دخلت على أهلِكَ فسلم يكون بركةً عليك وعلى أهل بيتك)<sup>(٢)</sup>.

قال ابن العربي: والذي اختاره إذا كان البيت فارغًا ألا يلزم السلام، فإنه إن كان المقصود الملائكة فالملائكة لا تفارق العبد بحال، أما إنه إذا دخلت بيتك يستحب لك ذكر الله بأن تقول: ما شاء الله لا قوة إلا بالله.

وقال القشيري في قوله: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا﴾ [النور: ٦١]: «والأوجه أن يقال: إن هذا عامٌ في دخول كل بيت، فإن كان فيه ساكنٌ مسلمٌ يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وإن لم يكن فيه ساكنٌ يقول: السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وإن كان في البيت من ليس بمسلم قال: السلام على من اتبع الهدى، أو السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، وذكر ابن خزيمة مندأه قال: كتب إلي أبو العباس الأصم قال: حدثنا محمد بن عبد الله بن عبد الحكم قال: حدثنا ابن وهب قال: حدثنا جعفر بن ميسرة عن زيد بن أسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (إذا دخلتم بيوتًا فسلموا على أهلها، واذكروا اسم الله، فإن أحدكم إذا سلم حين يدخل بيته وذكر اسم الله تعالى على طعامه، يقول الشيطان لأصحابه: لا مبيت لكم ها هنا) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الاستئذان، باب ما جاء في التسليم إذا دخل بيته ٥/٢٦٩٨، وقال: حسن غريب.

بها زيادة الخير والثواب، طيبة تطيب بها نفس المستمع»<sup>(٤)</sup>.

والسلام على النفس حملة الرازي على محمل لطيف، فقال: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١].

فالمعنى: أنه تعالى جعل أنفوس المسلمين كالنفس الواحدة، على مثال قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]. وحدثنا أن الملائكة ترد عليه...

وقوله: ﴿تَحِيَّةٌ﴾ نصب على المصدر، كأنه قال: فحيوا تحيةً من عند الله، أي: مما أمركم الله به.

وقوله: ﴿مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ﴾ قال الضحاك: معنى البركة فيه تضعيف الثواب، وقال الزجاج: أعلم الله سبحانه أن السلام مباركٌ ثابتٌ لما فيه من الأجر والثواب، وأنه إذا أطاع الله فيه أكثر خيره، وأجزل أجره<sup>(٥)</sup>.

فالتحية مصدر فعلٍ مشتقٍ من الجملة المشتملة على فعل (حيا) مثل قولهم: جزاه، إذا قال له: جزاك الله خيراً، وكان هذا اللفظ تحية العرب قبل الإسلام تحية عامة...

وكانت تحية الملوك (عم صباحاً) فجعل الإسلام التحية كلمة (السلام عليكم) وهي جائية من الحنيفية ﴿قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾ [هود: ٦٩].

(٤) أنوار التنزيل ٤/ ١١٤.

(٥) مفاتيح الغيب ٢٤/ ٤٢٠.

ولا عشاء، وإذا لم يسلم أحدكم إذا دخل، ولم يذكر اسم الله على طعامه، قال الشيطان لأصحابه: أدركتم المبيت والعشاء».

قلت: هذا الحديث ثبت معناه مرفوعاً من حديث جابر، أخرجه مسلم<sup>(١)</sup>.

وفي كتاب أبي داود، عن أبي مالك الأشجعي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير الولوج، وخير الخروج، باسم الله ولجنا، وباسم الله خرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، وليسلم على أهله)<sup>(٢)</sup>.

وصفها بالبركة لأن فيها الدعاء واستجلاب مودة المسلم عليه، ووصفها أيضاً بالطيب لأن سامعها يستطيعها<sup>(٣)</sup>.

ولليضاوي تعليقه المفيد للتحية المباركة الطيبة فيقول: «مباركة لأنها يرجى

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأشربة، باب آداب الطعام والشراب ٣/ ١٠٣، ١٥٩٨، ونص رواية مسلم: عن جابر بن عبد الله أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله عند دخوله قال الشيطان: أدركتم المبيت، وإذا لم يذكر الله عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء.

(٢) أخرجه أبو داود في سننه، في أبواب النوم، باب ما يقول الرجل إذا دخل بيته، ٤/ ٣٢٥، رقم ٥٠٩٦.

وضعه الألباني في الضعيفة ١٢/ ٧٣٠.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ١٢/ ٣١٨-٣١٩.

بمعنى النزاهة والقبول في نفوس الناس، ووجه طيب التحية أنها دعاءٌ بالسلامة، وإيدانٌ بالمسالمة والمصافاة، ووزن طيبةً فيعلةً مبالغةً في الوصف (١).

وقد ذكر القرآن السلام من عند الله تعالى على معنى كونه معاملةً منه سبحانه بكرامة الشئاء، وحسن الذكر للذين رضي الله عنهم من عباده في الدنيا، كقوله حكايةً عن عيسى إذ أنطقه بقوله: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣].

وكذلك في الآخرة وما في معناها من أحوال الأرواح بعد الموت كقوله عن عيسى: ﴿وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣٣].

وقوله عن أهل الجنة: ﴿هَلُمَّ فِيهَا فَكَلِمَةً وَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ (٥٧) ﴿سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ﴾ [يس: ٥٧-٥٨].

وجاء في القرآن السلام على خمسة من الأنبياء في سورة الصافات (٢). وأيضًا أمر الله الأمة بالسلام على رسولها فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ١٨/٣٠٤.

(٢) في قوله تعالى: ﴿سَلِّمْ عَلَيَّ فِي الْغَابَةِ﴾ [الصافات: ١٠٩]، و﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِذْ هَمَّتْ خَلُوعًا﴾ [الصافات: ١٠٩]، و﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِذْ هَمَّتْ خَلُوعًا﴾ [الصافات: ١٠٩]، و﴿سَلِّمْ عَلَيَّ إِذْ هَمَّتْ خَلُوعًا﴾ [الصافات: ١٠٩].

وسماها تحية الإسلام، وهي من جوامع الكلم؛ لأن المقصود من التحية تأنيس الداخل بتأمينه إن كان لا يعرفه، وباللطف له إن كان معروفًا، ولفظ (السلام) يجمع المعنيين؛ لأنه مشتقٌ من السلامة، فهو دعاءٌ بالسلامة، وتأمينٌ بالسلام؛ لأنه إذا دعا له بالسلامة فهو مسالم له، فكان الخبر كنايةً عن التأمين، وإذا تحقق الأمان حصل خيرٌ كثيرٌ؛ لأن السلامة لا تجامع شيئًا من الشر في ذات المسالم، والأمان لا يجامع شيئًا من الشر يأتي من قبل المعتدي، فكانت دعاءً ترجى إجابته، وعهدًا بالأمن يجب الوفاء به، وفي كلمة عليكم معنى التمكن، أي: السلامة مستقرةٌ عليكم.

ولكون كلمة (السلام) جامعةً لهذا المعنى امتن الله على المسلمين بها بأن جعلها ﴿مِنَ عِنْدِ اللَّهِ﴾ إذ هو الذي علمها رسوله بالوحي، وانتصب تحيةً على الحال من التسليم الذي يتضمنه ﴿فَسَلِّمُوا﴾ نظير عود الضمير على المصدر في قوله: ﴿اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨].

والمباركة: المفعولة فيها البركة، والبركة: وفرة الخير، وإنما كانت هذه التحية مباركةً -فوق ما تقدم- لما فيها من نية المسالمة، وحسن اللقاء والمخالطة؛ وذلك يوفر خير الأخوة الإسلامية.

والطيبة: ذات الطيب، وهو طيبٌ مجازيٌّ

ومن بركات الماء فوق ما تقدم أنه يحمل الفلك لتجري في البحر بأمر الله، قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفَلَكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ﴾ [إبراهيم: ٣٢].

ومن بركات الماء أن جعله الله تعالى أصلاً لخلق كل شيء حي، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ﴾ [النور: ٤٥].

كما أن الله تعالى جعل بركة الماء حاصلة في كون الماء شرطاً لعبادة الله، فلا صلاة لمن يستطيع الماء إلا به، ولا طواف ولا رفع للجنابة إلا به، ولا يصلح الدخول في الإسلام للكافر إلا بالاعتسال.

قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٦].

وقال عز من قائل: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغْتَسِلُوا

أي: قولوا: السلام عليك أيها النبي<sup>(١)</sup>. من خلال ما سبق نجزم بأن البركة على الأمة بأسرها تكمن في نشر هذه التحية الطيبة المباركة فيما بينها، لمن عرفنا ومن لم نعرف؛ إذ هي الأمن والأمان والثبوت والترابط الإيماني والاجتماعي بين أبناء الإسلام.

### سادساً: وصف الماء والنبات بالبركة:

من مجالات البركة في القرآن الكريم الماء والنبات، وقد تناولنا ذلك سابقاً ضمن حديثي عن الأساليب القرآنية في استخدام البركة، وقلنا بأن الماء النازل من السماء بنص قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبْرَكًا فَأَنْبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩].

له بركات كثيرة على الكون كله في إحياء موات الأرض، حيث قال تعالى: ﴿فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ١٦٤].

وفي إخراج الثمرات، حيث قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢]. ومن هذا الرزق المبارك إنبات النبات على اختلاف أنواعه وأشكاله ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرَجُ مِنْهُ حَبًّا مَرَّاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِنْ طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشَبَّهًا وَغَيْرَ مُتَشَبِّهِ﴾ [الأنعام: ٩٩].

(١) التحرير والتنوير، ابن عاشور ٧/٢٠.

وَأَن كُنْتُمْ مَّرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِّنْكُمْ مِنَ الْمَاءِ فَلَمْ يَجِدْ مَاءً فَسَيِّئُهُ بِمِائِدَةٍ مِّنَ الْمَاءِ فَسَقَىٰ بِهِ وَلَوْ حَمَصُهُ فَالْجَنَابُ وَالْجُنَّابُ وَالْجَنَابِيُّ وَالْجَنَابِيَّةُ وَالْجَنَابِيَّةُ وَالْجَنَابِيُّ وَالْجَنَابِيَّةُ وَالْجَنَابِيُّ وَالْجَنَابِيَّةُ [النساء: ٤٣].

كما كان الماء المبارك النازل من السماء مطهراً لجيش الإسلام، ومثبتاً لأقدامهم على أرض تعوق برملها المسير.

قال تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ﴾ [الأنفال: ١١].

قال الطبري: «اغتسلوا من الجنابة فجعل الله ذلك الماء طهوراً، وثبت به الأقدام؛ إذ لبد الله به الأرض، وربط به على قلوبهم، عن ابن عباس رضي الله عنهما إن المشركين من قريش لما خرجوا لينصروا العير، وليقاتلوا عنها نزلوا على الماء يوم بدر، فغلبوا المؤمنين عليه، فأصاب المؤمنين الظماً، فجعلوا يصلون مجنين محدثين حتى تعاضموا ذلك في صدورهم، فأنزل الله من السماء ماء، حتى سال الوادي، فشرب المؤمنون، وملؤوا الأسيقية، وسقوا الركاب، واغتسلوا من الجنابة، فجعل الله في ذلك طهوراً، وثبت به الأقدام، وذلك أنه كانت بينهم وبين القوم رملة، فبعث الله المطر عليها، فضربها حتى اشتدت، وثبتت

عليها الأقدام»<sup>(١)</sup>.

كما أن من بركاته سبحانه التي استودعها الماء إكسابه خاصية الإرواء والسقي.

قال تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ [الحجر: ٢٢].

ومن البركة أن الله استودع الماء الأرض بقدرته، فهو الذي يقول للشيء كن فيكون.

قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١٨].

أي: بمقدار مصلح للأرض على أن يكون غيثاً لا عتياً، فالمطر الزائد كالسيل الجارف لا يكون غيثاً، بل يكون عتياً، ويهدد الله به الظالمين من الناس، كالسيل الذي أغرق قوم نوح، فقوله تعالى: ﴿بِقَدَرٍ﴾ أي: على القدر الذي تعنيه الحاجات، ويكون إصلاحاً، ولا يكون فيه فساد للزرع والضرع، ويقول سبحانه: ﴿فَأَسْكَنَتْهُ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: جعلنا في الأرض مستقراً له، كأنما يسكنها، كما يأوي الأوي إلى مسكنه.

وذلك أن ما تنزله السماء قسمان: قسم عارض ممطر يغيث في وقت الجذب، ولا ينزل بانتظام كالمنزل الذي ينزل بالاستسقاء، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يستسقي، ومن بعده أهل الصلاح والتقوى،

(١) جامع البيان ٦/١٩٤.

﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَجْبَيْنَكُمْ وَاعْرِقْنَا  
عَالِ قِرْعُونَ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٠].

وبناء على ما تقدم ذكره مما يخص البركة في الماء نقول: إن الماء نعمة عظمية من نعم الله على خلقه، يجب أن ندرك منافعه، ونحفظ فوائده، ونعلم أنه لولا أن من الله علينا به لهلكنا جميعاً؛ لذا يجب أن نحافظ عليه وأن نضعه في مكانه اللائق به من ثروات الكون، وبركات السماء المودعة في الأرض...

وبالرغم من لفت أنظارنا إلى بركات المياه غير المتناهية إلا أننا في ثبات عميق مما يحاك حولنا، ومن كون الحروب القادمة حروب مياه، وقد بدأت بالفعل، كما أننا في حاجة إلى ترشيد المياه وعدم الإسراف فيه هكذا علمتنا سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم قولاً وعملاً.

ومن مجالات البركة في النبات.

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ  
مِثْلُ نُورِهِ كَيْشْكُوفٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْيَصْبَاحُ فِي  
رُحَابِ الرَّجْحَاءِ كَأَنَّهُ كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ  
مُبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا  
يَضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي  
اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ  
وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور: ٣٥].

وبيان الآية «الله نور السموات والأرض يدبر الأمر فيهما ويهدي أهلها، فهو سبحانه

وقسم يجري في أنهار ويسلك ينابيع الأرض في عيون، وهذا يسكنه الأرض، كنهري النيل، فإنه ينزل على الجبال، وفي البحيرات التي تمده، وهذا يبدو كأنه الساكن في الأرض، وإن كان في سير دائم من منبعه إلى مصبه، وهذا وأشابهه يوجد الخصب والنماء بإذن الله تعالى، ومن الناس من اعتقد أنه دائم لا يغيض؛ ولذا قال تعالى: ﴿وَلِئِنَّا عَلَنَ ذَهَابٍ بِهِمْ لَقَادِرُونَ﴾ أي: إنا على إذهابه لقادرون، والباء للتعدي، ولقوة الإذهاب، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠].

وإن مثل الأنهار العيون، فهي ينابيع في الأرض قد اختزنتها الأرض في جوفها وهي لله ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠] (١).

وإن من سنن الله في الكون أن جعل الماء سلاحاً ذا حدين، فكما ينفع الله به عباده، فإنه قد يضر به من شاء من عباده، كما حدث مع قوم نوح وموسى عليهما السلام من إغراق.

قال تعالى: ﴿وَقَوْمٌ نُوْحٌ لَمَّا كَذَبُوا  
الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ  
آيَةً وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [الفرقان: ٣٧].

وفي قوم موسى عليه السلام قال تعالى:

(١) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة ١٠/٥٠٥٨.

التي بارك الله تعالى فيها للعالمين<sup>(٢)</sup>.  
وهي من نعم الله تعالى: ﴿وَشَجَرَةً تَخْرُجُ  
مِن طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيْغُ اللَّائِلِينَ﴾  
[المؤمنون: ٢٠].

وحسبها وصف القرآن إذ وصفها القرآن  
بأنها مباركة هنا وفي سورة المؤمنون.  
وإذا كانت سورة المؤمنون مكية، وسورة  
النور مدنية، فقد اتفق القرآن المكي والمدني  
على أنها مباركة، وبركتها في أنها ذات منافع  
كثيرة، يكون منها الوقود المضيء، وهو دهن  
يكون طعامًا طيبًا، وهو يدخل في بعض  
الأدوية، وترابه إذا حرق يكون كحلًا للعيون  
ولا يضرها، وهو إدام، والزيتون نفسه  
للطعام والتفكه، ويفضله يغسل به الثياب،  
وهي شجرة تورق من رأسها إلى أسفلها،  
والزيتون أكثر آدم أهل الشام والمغرب،  
يصطبغون به، ويستعملونه في طبيختهم،  
ويستصبحون به، ويداوى به أدواء الجوف  
والقروح والجراحات، وفيه منافع كثيرة.  
وقال عليه الصلاة والسلام: (كلوا الزيت  
وادهنوا به، فإنه من شجرة مباركة)<sup>(٣)</sup>.

(٢) انظر: إرشاد العقل السليم، أبو السعود  
١٧٦/٦.

(٣) انظر: زهرة التفاسير، أبو زهرة ١٠/٥١٩٤.  
والحديث أخرجه أحمد في مسنده  
٤٥١/٢٥، رقم ١٦٠٥٥، والترمذي في  
سننه، أبواب الأطعمة، باب ما جاء في أكل  
الزيت ٣/٣٤٩، رقم ١٨٥١، والحاكم في  
المستدرک ٢/٤٣٢.

نور، وحجابه نور، به استنارت السموات  
والأرض وما فيهما، وكتاب الله وهدايته  
نور منه سبحانه، فلولا نوره تعالى لتراكت  
الظلمات بعضها فوق بعض، مثل نوره الذي  
يهدى إليه، وهو الإيمان والقرآن في قلب  
المؤمن كمشكاة، وهي الكوة في الحائط  
غير النافذة، فيها مصباح، حيث تجمع الكوة  
نور المصباح فلا يتفرق، وذلك المصباح في  
زجاجة، كأنها -لصفائها- كوكب مضيء  
كالدر، يوقد المصباح من زيت شجرة  
مباركة، وهي شجرة الزيتون، لا شرقية فقط،  
فلا تصيبها الشمس آخر النهار، ولا غربية  
فقط فلا تصيبها الشمس أول النهار، بل هي  
متوسطة في مكان من الأرض لا إلى الشرق  
ولا إلى الغرب، يكاد زيتها -لصفائها- يضيء  
من نفسه قبل أن تمسه النار، فإذا مسته النار  
أضاء إضاءة بليغة، نور على نور، فهو نور  
من إشراق الزيت على نور من إشعال النار،  
فذلك مثل الهدى يضيء في قلب المؤمن،  
والله يهدي ويوفق لاتباع القرآن من يشاء،  
ويضرب الأمثال للناس؛ ليعقلوا عنه أمثاله  
وحكمه، والله بكل شيء عليم، لا يخفى  
عليه شيء<sup>(١)</sup>.

وشجرة الزيتون المباركة أبرك الأشجار،  
وأكثرها منافع للناس، تنبت بكثرة في الأرض

(١) التفسير الميسر، مجموعة من العلماء ٣٥٤.

وسائل تحصيل البركة وآثارها

أوضح القرآن الكريم وسائل تحصيل البركة وآثارها؛ حثاً للعباد على الأخذ بها، وسوف نتناولها بالبيان فيما يأتي:

أولاً: وسائل تحصيل البركة:

١. العقيدة السليمة.

من وسائل تحصيل البركة: العقيدة السليمة؛ ذلك أن المسلم الحق يعتقد أن الله تعالى هو صاحب البركة، وهو عز وجل الذي يهبها من يشاء من عباده، وبناء على ذلك فإن من أهم وسائل تحصيل البركة على الإطلاق: اعتقاد المسلم أنه لا إله إلا الله، وذلك ما نستشعره من آيات القرآن التي نطقت بذلك.

كقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَىٰ بِاللَّيْلِ الْبَيْتَ وَيَطْبَعُ الْبُقْعَةَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ

وَجَعَلَ لَكَ فُجُورًا﴾ [الفرقان: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿نَبِّأكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ [الفرقان: ٦١].

وقوله تعالى: ﴿نَبِّأكَ أَنَّهُ ذِي الْكُلُوبِ وَالْأَكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٧٨].

وقوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الملك: ١].

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النَّطْفَةَ عَلَاقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْلًا فَكَسَوْنَا الْعِظْلَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤].

وقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

وقوله تعالى: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [الزخرف: ٨٥].

وقد أسلفنا في أول هذا البحث أن ﴿تَبَارَكَ﴾ فعل ماضٍ، أي: تقدس وتنزه، وهو فعل جامد لا يتصرف، أي: لا يأتي منه مضارع ولا أمر ولا اسم فاعل، وبينما ما قاله الراغب من أن البركة من الله، وحقيقتها: كثرة الخير ودوامه ولا أحد أحق بذلك

قال الحاكم: «هذا حديثٌ صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وله شاهدٌ آخر بإسنادٍ صحيح» وصححه الألباني في الصحيحة ٣٧٩.

وصفاً وفعلاً منه تبارك وتعالى...، وتكون هذه البركة قد ثبتت لذلك السبب ثبوتاً شرعياً، وثبتت الكيفية التي تنال بها البركة عن المعصوم صلى الله عليه وسلم<sup>(١)</sup>.  
وبما أن البركة من الله فإنها لا تنال نوالاً حقيقياً مرضياً عنه، وليس استدراجاً، إلا بتسلح المؤمن بسلاح العقيدة الصافية من شوائب الشرك.

## ٢. تدبر القرآن وتطبيقه.

من وسائل تحصيل البركة الإيمان بالقرآن وتدبره واتباعه وتطبيقه في حياتنا، والرغبة فيما رغبتنا فيه، والرغبة مما رهبتنا منه، ذلك ما نفهمه ويفهمه كل مسلم من قوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُوكٌ مُصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [الأنعام: ٩٢].

وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مَبْرُوكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥].

وقوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ [الأنبياء: ٥٠].

وقوله تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرُوكٌ لِيَذَّبَ آيَاتِنَا وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾

(١) إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش ٣٦٧/٣.

وانظر: المفردات، الراغب ص ١١٩، بدائع الفوائد ابن القيم ٢/ ١٨٥-١٨٧.

[ص: ٢٩].

## ٣. الاقتداء بالمباركين.

من وسائل تحصيل البركة الاقتداء بالمباركين الذين غنموا عناية الله لهم باصطفائهم وبصلاحهم وطاعتهم للحق سبحانه واهب البركة، وأئمة التقى ومعدن الصلاح، هم أنبياء الله ورسله، ومن سار على نهجهم واهتدى بهديهم، وقد قص علينا القرآن الكريم -تعييناً- بعضاً منهم، وصفوا بالبركة لفظاً، كنيي الله نوح عليه السلام، حيث دعا ربه بالبركة.

فقال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ انزِلْ لِي مِثْرًا مَبْرُوكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾ [المؤمنون: ٢٩].

وقال الله تعالى مباركاً لإياه ومن اتبعه: ﴿قِيلَ يٰنُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّنْ مَعَكَ وَأُمَّسْ سَمْعَهُمْ ثُمَّ يَمْسُهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [هود: ٤٨].

والخليل إبراهيم، وأهل بيته وولده إسحاق عليهم السلام، حيث قال الله تعالى: ﴿وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَعِزًّا لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾ [الصفوات: ١١٣].

وفي أهل بيته الكريم يقول الله تعالى: ﴿قَالَتْ يَتُوبَلَىٰ أَيْدِي وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٦﴾ قَالُوا أَنْعَجِبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحِمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٢-٧٣].

وممن ذكرهم القرآن من الأنبياء عيسى

فكرم الله لعباده منوط بالافتداء بنبيه صلى الله عليه وسلم ، والافتداء به هو افتداء بكل الأنبياء عليهم السلام .

٤ . الحرص على التعرض للبركة .

من وسائل جلب البركة الحرص على التعرض لها من خلال ولوج الأماكن المباركة، كبيت الله الحرام، حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: ٩٦].

والمسجد الأقصى، حيث قال تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا الَّذِي بَرَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنَ السَّمَاءِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء: ١].

وبلاد الشام ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ الْأَرْضِ وَمِغْرِبَهَا الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَرْنَا مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣٧].

وقوله تعالى: ﴿ وَبَعَيْنَا وُلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧١].

وقوله تعالى: ﴿ وَسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ ﴾ [الأنبياء: ٨١].

وطور سيناء حيث قال تعالى: ﴿ إِذْ

ابن مريم عليه السلام، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَنِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم: ٣١].

هذا ولا يفوتنا أن نبينا صلى الله عليه وسلم لم يوصف بلفظ البركة في القرآن؛ لأن البركة فيه صلى الله عليه وسلم بديهية لا تحتاج إلى ذكر ولا إلى تذكير، فهو نبي أعطاه الله القرآن بركة وحي السماء، وأصل الفيوضات، وبارك أمته بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر، وبفرائض الدين وسنته، وبارك عمره فانتشر الدين على يديه وتم، ومن بركاته الحسية الكثير والكثير حيث: نبع الماء من بين أصابعه، وحفول شارف الشاة باللبن، وكثرة الطعام يوم الخندق عند جابر بن عبد الله رضي الله عنه...، وهلم جرا، ومن أجل هذا وغيره كان صلى الله عليه وسلم جديراً بالبركة، وإن لم تذكر في وصفه صراحة.

ونخلص إلى أنه من وسائل تحصيل البركة الافتداء بالأنبياء والصالحين، قال تعالى أمراً حبيبه صلى الله عليه وسلم: ﴿ فَيُهْدِيهِمْ قَفْذَةً ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ونحن أمرنا أن نقتدي به صلى الله عليه وسلم.

قال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا ﴾ [الأحزاب: ٢١].



كل هذه الآيات تدور حول الإيمان والتقوى، ونتيجة ذلك عند الله.

«وأصل البركة: المواظبة على الشيء، أي: تابعا عليهم المطر والنبات، ورفعنا عنهم القحط والجذب...»<sup>(١)</sup>.

وبركات السماء والأرض متعددة، إن كان العلماء وغيرهم عرفوا منها نوعًا فقد غابت عنهم أنواع: فمن قائل بركات السماء: بالمطر، وبركات الأرض بالنبات، وقيل: بركات السماء: إجابة الدعوات، وبركات الأرض: تسهيل الحاجات<sup>(٢)</sup>.

يقول الفخر: «اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أن الذين عصوا وتمردوا أخذهم الله بغتةً، بين في هذه الآية أنهم لو أطاعوا لفتح الله عليهم أبواب الخيرات، فقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا﴾ [الأعراف: ٩٦].»

أي: آمنوا بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ﴿وَاتَّقُوا﴾ ما نهى الله عنه وحرمه ﴿لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ بركات السماء: بالمطر، وبركات الأرض: بالنبات والثمار، وكثرة المواشي والأنعام، وحصول الأمن والسلامة؛ وذلك لأن السماء تجري مجرى الأب، والأرض تجري مجرى الأم، ومنهما يحصل

الله تعالى كلها يكمن في الإيمان والتقوى، وهذا ما أشارت إليه الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَنَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١١﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلَ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيْنًا وَهُمْ تَبِيبُونَ﴾ [الأعراف: ٩٦-٩٧].

هذه الآية الكريمة تشابه قوله تعالى في حق اليهود والنصارى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم﴾ [المائدة: ٦٦].

وقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

وقوله: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

وقوله تعالى على لسان نبيه نوح عليه السلام: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبِّيَ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينْ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَعَىٰ لِحَالِهِ مَا يَدُلُّهُ جَنَّتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [الطلاق: ١١].

وقوله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَاتُ يُغْضَبْنَ عَلَيْهِنَّ عَلَىٰ طَرِيقٍ مَّا لَسَقَيْنَهُنَّ مَاءً حَلَقًا﴾ [الجن: ١٦].

(١) معالم التنزيل، البغوي ٢/٢١٧.  
(٢) انظر: تفسير القرآن، السمعاني ٢/٢٠٠.

جميع المنافع والخيرات بخلق الله تعالى وتدييره»<sup>(١)</sup>.

والظاهر أن قوله: ﴿بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ لا يراد بها معين؛ ولذلك جاءت نكرة، وقيل: البركات النمو والزيادات فمن السماء بجهة المطر والرياح والشمس، ومن الأرض بجهة النبات والحفظ لما نبت هذا الذي تدركه فطر البشر، ولله خدامٌ غير ذلك لا يحصى عددهم، وما علم الله أكثر<sup>(٢)</sup>.

والمقصود من الجمع في (بركات) تعددها، باعتبار تعدد أصناف الأشياء المباركة، وجماع معناها، هو الخير الصالح الذي لا تبعة عليه في الآخرة، فهو أحسن أحوال النعمة...، وما يناله الناس من الخيرات الدنيوية لا يعدو أن يكون ناشئاً من الأرض؛ وذلك معظم المنافع، أو من السماء مثل ماء المطر وشعاع الشمس وضوء القمر والنجوم والهواء والرياح الصالحة<sup>(٣)</sup>.

ويرجع الشيخ الشعراوي سبب ندرة البركة لأفعال البشر المتعلقة بالإيمان والتقوى، حيث يقول رحمه الله: «فالبشر إذا تركوا رب الإنسان يضع منهج صيانة الإنسان لعاش هذا الإنسان في كل خير، -وسبحانه وتعالى- أوضح أنهم إن اتقوا تأت لهم بركات من السماء والأرض، فإن

أردتها بركات مادية تجدها في المطر الذي ينزل من أعلى، وبركات من الأرض مثل النبات، وكذلك كنوزها التي تستنبط منها الكماليات المرادة في الحياة، وما معنى البركة؟ البركة هي أن يعطي الموجود فوق ما يتطلبه حجمه؛ كواحد مرتبه قليل جداً، ونجده يعيش هو وأولاده في رضا وسعادة، ودون ضيق، فتساءل: كيف يعيش؟ ويجيبك: إنها البركة، وللبركة تفسير كوني؛ لأن الناس دائماً -كما قلنا سابقاً- ينظرون في وارداتهم إلى رزق الإيجاب، ويغفلون رزق السلب، رزق الإيجاب أن يجعل سبحانه دخلك آفاقاً كثيرة، لكنك قد تحتاج إلى أضعاف ما تأخذ، ورزق السلب يجعل دخلك القليل مع سلبه -سبحانه- عنك مصارف كثيرة، كأن يمنحك العافية، فلا تحتاج إلى أجر طبيب أو نفقة علاج، إذن فقوله: ﴿بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ أي: أن يعطي الحق سبحانه وتعالى القليل الكثير في الرزق الحلال، ويمحق الكثير الذي جاء من الحرام كالربا؛ ولذلك سمي المال الذي نخرجه عن المال الزائد عن الحاجة زكاة مع أن الزكاة في ظاهرها نقص»<sup>(٤)</sup>.

### ثانياً: آثار البركة:

تنوعت آثار البركة حسب استعمال

(١) مفاتيح الغيب ١٤/ ٣٢١.

(٢) انظر: البحر المحيط، أبو حيان ١١٩/٥.

(٣) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور ٩/ ٢٠.

(٤) تفسير الشعراوي ٦/ ٣٢٨٢.

القرآن كالاتي:

١. الهداية إلى أقوم السبل، ومن ثم دخول الجنة.

ذلك أن القرآن الكريم الذي وصفه الله تعالى ليلة نزوله بالبركة، ووصفه هو بالكتاب المبارك تظهر بركته جليلة من خلال أنه يهدي للتي هي أقوم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢].

٢. عموم خيرات الله لسكان الأرض.

لولا بركة الله لمجمل الأرض ما انتفعنا بخيراتها التي لا تحصى ولا تعد: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا رِوْاسٍ مِّنْ فَوْقِهَا وَنَزَلَ فِيهَا وَفَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ لَيْلِينَ﴾ [فصلت: ١٠].

ولولا بركة التقوى ما تفضل الله علينا ببركات الأمطار، وإجابة الدعاء في السماء إلى بركات الأنهار والبحار والزروع والثمار ﴿لَفَنَحْنَا عَلَيْهِمْ بِرُكْنٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

٣. كثرة الزروع والثمار والأنهار في بعض البقاع.

يظهر ذلك في أرض الشام التي باركها الله، وبارك أهلها في أكثر من آية تم ذكرها في هذا البحث، وفي طور سيناء.

٤. بركة الزروع والثمار.

وذلك كما بينا في الزيتون ومنافعه في هذا البحث.

٥. تسخير الموجودات للبشر.

من آثار البركة تسخير الله للموجودات خدمة للبشر (السماء، الأرض، تعاقب الليل والنهار، الشمس، القمر، النجوم)؛ بدليل قوله تعالى: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُعْشَىٰ لَيْلَ النَّهَارِ يَطْلُبُهُ حَيْثُ مَا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

فلولا بركة الله ما تنعمنا بما حوته هذه الآية من نعم.

٦. منع الإيذاء عن اتقى ربه.

كما حدث مع نبي الله نوح عليه السلام عندما نزل من السفينة بسلام وأمن لم يمسه سوء.

٧. البشرى بالذرية.

من آثار البركة في القرآن: تبشير الصالحين بالذرية، كما حدث مع الخليل إبراهيم عليه السلام؛ حيث رزقه الله الذرية الصالحة، وقد بلغه الكبر وكانت امرأته عاقراً لا تلد.

٨. زيادة الثواب بالمكانية وبالزمانية.

من آثار البركة في القرآن زيادة الثواب بالمكانية، كزيادة ثواب الصلاة في المسجد

الحرام بمائة ألف صلاة عما سواه، وفي المسجد النبوي بألف صلاة، والمسجد الأقصى بخمسمائة، وأما الزيادة في الثواب المتعلقة بالزمان فذلك مثل ليلة القدر، والعشر الأول من ذي الحجة، وما شابه ذلك، وهذا يمثل بركة في العمر؛ إذ العمر القصير في الطاعة ينال الثواب الجزيل رغم قصره.

٩. نشر السلام بين الناس.

من آثار البركة نشر السلام بين الإنسان ونفسه، وبينه وبين غيره من المسلمين؛ لقوله تعالى: ﴿فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [النور (٦١)].

موضوعات ذات صلة:

الأرض، الإسراف، الإنفاق، البخس، الرزق، الطعام، الماء، المال